

ماريانا كلار  
Marianna Klar

# بين التاريخ والتفسير

ملاحظات على الإستراتيجيات المنهجية للطبري

ترجمة: د. حسام صبري

مركز تفسير للدراسات القرآنية  
Tafsir Center For Qur'anic Studies



المعلومات والآراء المقدّمة هي للكتاب، ولا تعبّر  
بالضرورة عن رأي الموقع أو أسرة مركز تفسير

## نبذة تعريفية بماريانا كلار:

ماريانا كلار Marianna Klar، باحثة بكلية الدراسات الشرقية والأفريقية جامعة لندن، حاصلة على الدكتوراه في الدراسات الشرقية من كلية بيمبروك بجامعة أكسفورد.

مهمة بالدراسة الأدبية للقرآن والتفاسير التقليدية، شاركت في تحرير عدد من الكتب في هذا السياق، كما صدر لها كتاب حول قصص الأنبياء في تفسير الثعلبي.

Interpreting al-Tha'labī's Tales of the Prophets: Temptation, Responsibility and Loss , 2009

(تفسير قصص الأنبياء للثعلبي، الفتنة والمسؤولية والخسارة).

مقدمة<sup>(١)</sup>؛

يُعدّ الطبري أحد أهمّ المفسّرين في التقليد الإسلامي، إن لم يكن أهمهم على الإطلاق، وهو كذلك من أهم المؤرّخين ضمن هذا التقليد، ويعدّ تفسيره وتاريخه من أهم الكتب ضمن تاريخ العلوم والمعارف الإسلامية، وبسبب موسوعيته الكبيرة وتخصّصه في حقول معرفية شتى وكونه من عمد هذه العلوم ومؤسّسيها، فإنّ التساؤل حول العلاقات المنهجية الدقيقة بين مختلف الفنون التي صنف فيها يعدّ في عمقه تساؤلاً حول الحدود التصنيفية للفنون الإسلامية التقليدية.

ولماريانا كلار اهتمامٌ كبيرٌ بالحدود النوعية التي تخصّ الفنون الإسلامية المتنوّعة؛ مثل: التاريخ، والتفسير، وقصص الأنبياء، والسّير، والطبيعة الخاصّة لبناء كلّ متن من متون هذه الفنون، والعلاقات التي تحكم حركة التخصّصات العلمية داخلها، ومساحات الحجّية والسلطة للمصادر والطرائق وآليات التوظيف داخل نسيجها.

(١) قام بكتابة المقدمة وكذا التعريف بالأعلام الواردة في نصّ الترجمة، مسؤولو قسم الترجمات بموقع تفسير، وقد ميزنا حواشينا عن حواشي كلار بأن نصصنا بعدها بـ(قسم الترجمات)، وقد كانت حواشي كلار في نهاية الدراسة، لكننا أثّرنا تضمينها داخل النصّ تيسيراً على القارئ في تتبع مراد المؤلّفة.

في هذه الورقة تحاول كلار بحث تلك الاختلافات المنهجية التي يشهدها كتابي الطبري (التفسير، والتاريخ)، فهي توافق هيث وروزنتال على التشابه الكبير بين الكتابين، إلا أنها ترى أن ثمة اختلافات منهجية قائمة على اختلاف المحددات النوعية لكلّ فنّ من هذه الفنون، وأن هذه الاختلافات تحتاج لإلقاء النظر عليها وبلورتها للوقوف على الحدود النوعية بين فني التفسير والتاريخ.

ومن أجل هذا تقوم كلار بتخصيص عملها على قصة آدم والنزول من الجنة والتوبة ما بين كتاب التاريخ وكتاب التفسير، محاولة الكشف عن دور الأهداف والمحددات الخاصّة لكلّ فنّ في تشكيل الخطوات المنهجية وطرائق التعامل مع المصادر أثناء بناء متون هذه الكتب.

إنّ مثل هذه الأوراق شديدة الأهمية في اكتشاف البناء الخاصّ لفن التفسير، والملاحم والمحددات النوعية التي تفصله عن غيره من فنون التقليد الإسلامي، خصوصاً حين ينطلق اشتغالها من أحد الأعمدة المركزية لهذا الحقل.

## الدراسة<sup>(١)</sup>(٢)

يسعى البحث الذي بين أيدينا للإسهام في الوصول إلى فهم مفصّل لأثر مفاهيم النوع الأدبي وحقل التخصص في المادة التي ضمّنها محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠ / ٩٢٣) في مؤلّفه في التفسير والتاريخ<sup>(\*)</sup>. ويتناول القسم الأول تاريخ الطبري الذي ظهر للوجود سنة ٢٩٤ / ٩٠٦ - ٩٠٧<sup>(٣)</sup>، وقد تعرّض

(١) هذه الترجمة هي لمادة: Between History and Tafsīr: Notes on al-Ṭabarī's Methodological Strategies، والمنشورة على: Journal of Qur'anic Studies، المجلد ١٨، العدد ٢، في يونيو ٢٠١٦.

(٢) قام بترجمة هذه المادة: حسام صبري، مدرس بكلية اللغات والترجمة، قسم الدراسات الإسلامية باللغة الإنجليزية، بجامعة الأزهر، شارك في ترجمة عدد من الكتب الدينية، وقام بترجمة عدد من البحوث، كما أن له العديد من الترجمات المنشورة على بعض المواقع الإلكترونية.  
(\*) أودّ أن أعبر عن شكري وامتناني لكلّ من تورستن هايلين، أولريكا مارتينسون، ديفين ستوارت ومحكمي مجلة الدراسات القرآنية؛ لما أبدوه من تعليقات على هذا البحث. وقد قدّمت نسخة أولية من البحث في ندوة نقاشية بعنوان: (معالجة أنبياء ما قبل الإسلام في الدراسات التفسيرية والتاريخية)، التي شاركتُ في تنظيمها مع ميخائيل بريجيل في المؤتمر الدولي لجمعية دراسات الكتاب المقدّس (SBL) بكلية كينجز - لندن، في الخامس من يوليو ٢٠١١.

(٣) انظر: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 133، وينقل هنا عن ياقوت، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء). لمزيد من المعلومات حول تاريخ الطبري بلغات غير العربية، انظر الأعمال الآتية:

Gilliot, 'Récit, mythe et histoire chez Tabari'; El-Hibri, Parable and Politics in Early Islamic History; Leder, 'The Literary Use of the Khabar'; Khalil, 'A

فيه للأحداث التاريخية منذ بداية الخلق حتى البعثة المحمدية، وأكثر فيه من الأخبار التي تناولت ملوك فارس والعرب؛ ولذا جاء تاريخ الطبري مشتملاً على مادة ضخمة من الإسرائيليات علاوة على جوانب أخرى من تاريخ الكتاب المقدس. وهي مادة شبيهة بما سار عليه في تفسير القرآن الذي نُشر (في صورة محاضرات عامة) قبل عشرين سنة تقريباً من تاريخ الطبري في سنة ٢٧٠/٨٨٣-٨٨٤ وما بعدها<sup>(١)</sup>. وقد ورد ذكر العديد من المراحل التاريخية الأولى في التفسير وفي الأجزاء الأولى من تاريخ الطبري.

---

Closer Look at al-Ṭabarī's Accounts of the Khaybar Spoils'; Kheskh, 'How to Frame History'; Martensson, Tabari and 'Discourse and Historical Analysis'; Osman, 'Oral vs. Written Transmission'; Rosenthal, 'General Introduction' in The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 5-147; Shoshan, Poetics of Islamic Historiography.

(١) انظر: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 106 and 107 (نقلاً عن إرشاد

الأريب). لمزيد من الدراسات حول تفسير الطبري بلغات غير العربية انظر الأعمال الآتية:

Berg, 'Ṭabarī's exegesis of the Qur'anic Term al-Kitāb'; Calder, 'Tafsīr from Ṭabarī to Ibn Kathīr'; Cooper, The Commentary on the Qur'an by al-Ṭabarī; Gilliot, 'Mythe, récit, histoire du salut', 'Éxège et sémantique institutionnelle dans le commentaire de Tabari', and Exégèse, langue et théologie; Heath, 'Creative Hermeneutics'; Mårtensson, Tabari and "The Persuasive Proof"; Mahmoud, 'The Creation Story in "Sūrat al-Baqara"'; McAuliffe, 'Qur'anic Hermeneutics'; Pregill, 'Isrā'īliyyāt, Myth and Pseudepigraphy'.

وهناك العديد من مواضع التداخل بين المصدرين<sup>(١)</sup>، وقد أبرزها فرانز روزنتال<sup>(٢)</sup> في ترجمته وتعليقه على الجزء الأول من تاريخ الطبري. وأحياناً يكون هذا التداخل في المواد صريحاً؛ فإنّ الحواشي التي وردت عند الحديث عن القلم والعرش وأيام الأسبوع والخلق في ستة أيام والليل والنهار والشمس والقمر تشتمل على إشارات لفقرات مكرّرة وبعضها فقرات طويلة<sup>(٣)</sup> تكرّرت في تفسير الطبري، ويتكرّر هذا الأمر في قصة إبليس وأجزاء متفرّقة من قصة

(١) نقلت المؤلفة نقولاتها من تاريخ الطبري من الأصل العربي، وقد قمنا بالرجوع لهذه النقولات وإثباتها من مصدرها. (المترجم).

(٢) فرانز روزنتال، Franz Rosenthal، (١٩١٤-٢٠٠٣): مستشرق ألماني شهير، عمل أستاذاً للغات السامية في جامعة «يال»، تركّز اهتمامه الأساس على التاريخ الإسلامي، وتاريخ العلوم ومناهج البحث في التراث الإسلامي، وله عدد من الكتب في هذا، منها: "A history of Muslim historiography"، "علم التاريخ عند المسلمين" وهو مترجم للعربية، ترجمه: صالح أحمد العلي، وقد صدرت طبعته الثانية عن مؤسسة الرسالة عام ١٩٨٣، و" The Muslim Concept of Freedom Prior to the Nineteenth Century"، «مفهوم الحرية في الإسلام»، وقد ترجمه للعربية: معن زيادة ورضوان السيد، وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٨، عن معهد الإنماء العربي، بيروت، و" The technique and approach of Muslim scholarship"، «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي»، وهو مترجم للعربية كذلك، ترجمه: أنيس فريحة، وصدر عن دار الثقافة ومؤسسة فرانكلين، بيروت، عام ١٩٦١ م. (قسم الترجمات).

(٣) فيما يخصّ الحديث عن اللطخة التي في القمر بيّن روزنتال أن جميع هذه الأخبار ترد بنفس ترتيب ورودها في تفسير الآية الثانية عشرة من سورة الإسراء. انظر: Rosenthal, The History of al-Tabarī. Vol. I, p. 244, n. 477، في إشارة إلى المادة الموجودة في الصفحات ٢٤٤-٢٤٧.



آدم<sup>(١)</sup>، كذلك تتكرر قصة هايبل وقابيل بجميع تفاصيلها في التفسير<sup>(٢)</sup>، أضف إلى ذلك تكرار ما جاء في خبر عبد الحارث (وأن آدم وحواء كان لا يعيش لهما ولد)<sup>(٣)</sup> والميثاق الذي أخذه الله على ذرية آدم<sup>(٤)</sup>.

وفي مواضع أخرى تبين حواشي روزنتال وجود اختلافات نصية طفيفة لولاها لكان هناك تقابل تام، ويتضح هذا على سبيل المثال في عبارات أوردها روزنتال، منها ما ذكره من أن الحديث الذي ورد في تفسير الطبري في المجلد التاسع والعشرين، ص ١١، ذكر محمد بن عبد الله الطوسي بدلاً من أحمد بن محمد بن حبيب، والطوسي هذا مجهول<sup>(٥)</sup>. وفي تفسير الطبري، المجلد الأول،

(١) فيما يخص المادة المذكورة في الصفحتين ٢٥١-٢٥٢، وفيها ذكر الخبر عن غمطٍ عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه وادعائه الربوبية، يبين روزنتال أن هذا الجزء بأكمله مأخوذ من تفسير الآية الرابعة والثلاثين من سورة البقرة. انظر: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 252, n. 520. وهناك موضع آخر يتجلى فيه هذا التداخل يشير إليه روزنتال ويتعلق بتفسير قوله: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، ص ٢٦٦-٢٦٨؛ إذ يقول روزنتال: إن جميع هذه الأخبار ترد في تفسير الآية الواحدة والثلاثين من سورة البقرة. انظر: The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 266, n. 629.

(٢) تجدر الإشارة إلى أن نفس الأبيات الشعرية المذكورة في العملين عند الحديث عن مقتل هايبل. انظر: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 316, n. 901.

(٣) انظر الهوامش في: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 320-322.

(٤) انظر الهوامش في: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 330.

(٥) انظر الهامش رقم ٢٢٦ في: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 198-199.

ص ١٥٣، (في تفسير الآية التاسعة والعشرين من سورة البقرة) جاء المثني بدلاً من عليّ بن داود في الإسناد، لكن ابن داود يرد ذكره في التفسير في المجلد الثلاثين، ص ٢٩، (في تفسير الآيات ٢٩-٣٢ من سورة النازعات)<sup>(١)</sup>، أمّا المجلد الثاني عشر، ص ٤، في تفسير الآية السابعة من سورة هود فيذكر رواية أخرى للحديث لا يرد في إسنادها الراويان المذكوران أعلاه<sup>(٢)</sup>. وفي بعض الأحيان تكون الاختلافات أكبر قليلاً. ويبيّن روزنتال في أحد المواضع أن الجملتين الأخيرتين لا تردان عند الاستشهاد بهذا الحديث في تفسير الطبري، الجزء الثاني عشر، ص ٤<sup>(٣)</sup>، وفي موضع آخر يقول: إنّ الحديثين الواردين في الجزء الأول من التفسير، ص ١٧٠، بينهما اختلاف طفيف ويختلفان في الإسناد، وقد ورد ذكرهما معاً هنا في هذا الموضع<sup>(٤)</sup>.

ومع ذلك ثمة موضع آخر لا يبدو فيه الاختلاف بين المصدرين بهذا الوضوح، إذ يرى روزنتال أن الحديث الوارد في التفسير في المجلد التاسع والعشرين، ص ١١ وما بعدها لا يحظى بنفس القدر من الأهمية والظهور الذي

(١) انظر الهامش رقم ٣٣٣ في: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 214.

(٢) انظر الهامش رقم ٤٠٤: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 227.

(٣) انظر الهامش رقم ٢٩٤: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 208.

(٤) انظر الهامش رقم ٦٣٦: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 267.

بدأ عليه هنا<sup>(١)</sup>. وبالنسبة إلى عبارة: ﴿عَبَّ حَمَّةٌ﴾ التي وردت في سورة الكهف الكهف في الآية (٨٦) فيرى روزنتال أن الطبري في تاريخه يفسرها بأنها حمأة سوداء من طين، في حين أن تفسير الطبري يورد قراءة: ﴿حَامِيَّةٌ﴾<sup>(٢)</sup>. وعند الحديث عن تُوْر نوح الذي فار بالهند يبيّن روزنتال أن الطبري في تفسيره أشار إلى هذا القول ولم يرحّحه، وحين ذكره في تاريخه لم يعلّق عليه<sup>(٣)</sup>.

من الجلي وجود مواضع تلاقٍ بين المصدرين، لكن لا يعني هذا وجود قاعدة عامة مطّردة للتكرار الواضح. ولم نشهد بعد تحديد الطبيعة الدقيقة لهذا الاختلاف في عملين يتتمان لفنين مختلفين ومجال تركيز متفاوت. وقد حاول بيتر هيث وصف الاختلافات المنهجية بين العملين في بحث له نُشر سنة ١٩٨٩ تحت عنوان: "Creative Hermeneutics: A Comparative Analysis of Three Islamic Approaches" أو (الهرمنيوطيقا الإبداعية: تحليل مقارن لثلاثة مناهج إسلامية). وانصبّ التركيز على خلق آدم كما عند الطبري (في

(١) انظر الهامش رقم ٢٢٥: 198، Vol. I، p. Rosenthal، The History of al-Ṭabarī.

(٢) انظر الهامش رقم ٤٤٢: 234، Vol. I، p. Rosenthal، The History of al-Ṭabarī.

(٣) انظر الهامش رقم ٨٠٧: 297، Vol. I، p. Rosenthal، The History of al-Ṭabarī.

التاريخ والتفسير)، وعند ابن سينا (ت: ٤٢٨ / ١٠٣٧) في «معراج نامه»، وابن عربي (ت: ٦٣٨ / ١٢٤٠) في «فصوص الحكم»<sup>(١)</sup>.

وعن تاريخ الطبري وتفسيره يقول بيتر هيث<sup>(٢)</sup>: رغم أنّ المقارنة تكشف عن أوجه شبه منهجية أساسية إلا أن كِلا العاملين يتميّان لنوع أدبي مختلف، هما التفسير والتاريخ؛ ولهذا فمن الطبيعي أن تكون هناك اختلافات منهجية. ويضع الضوابط الآتية لتقييم العاملين: فالطبري يتناول تفسيره من منظور لغوي فيحلّل كلّ كلمة من الناحية النحوية والصرفية وربما من الناحية التاريخية؛ ولذا يسير وفق معيار محدّد في اختيار المادة التي يدرجها ضمن المبادئ الإرشادية للسلامة العلمية والقبول الديني. والدافع الإرشادي بالنسبة لكتاب التاريخ هو «الرواية الزمنية»، وعليه فإنّ غالبية المادة النحوية والصرفية تحتلّ جانباً واحداً فقط. وفي الوقت ذاته فإنّ المادة المكّملة المأخوذة من التراث التفسيري والتاريخي حتى وقته<sup>(٣)</sup> قد ضمّنها الطبري في تاريخه ليقدم لنا رواية تاريخية

(١) يلقي هيث أيضاً نظرة سريعة على المادة المذكورة في ترجمة تاكستون لقصص الأنبياء للكسائي،

انظر:

Heath, 'Creative Hermeneutics', pp. 188–189.

(٢) انظر: Heath, 'Creative Hermeneutics', p. 181.

(٣) نفس المرجع، ص ١٨٨.

متسقة ومترابطة. ويطلق هيث<sup>(١)</sup> على هذا الأمر «التحرّك نحو التفصيل  
الخصوصي»<sup>(٢)</sup>.

ومع ذلك فإنّ البحث المبدئي يبيّن صحة هذا الأمر في المجمل إلا أن  
الاختلافات البسيطة بين المصدرين يصعب التنبؤ بها مقارنة بهذه المعايير  
العامة، علاوة على ما لها من أهمية. ويذكر الطبري في مقدمة تفسيره منهجه  
الذي سار عليه، فيقول<sup>(٣)</sup>:

«ونحن -في شرح تأويله، وبيان ما فيه من معانيه- منشئون -إن شاء الله  
ذلك- كتابًا مستوعبًا لكلّ ما بالناس إليه الحاجة من علمه، جامعًا، ومن سائر  
الكتب غيره في ذلك كافيًا. ومخبرون في كلّ ذلك بما انتهى إلينا من اتفاق الحجة  
فيما اتفقت عليه منه واختلافها فيما اختلفت فيه منه. ومبينو علل كلّ مذهب من  
مذاهبهم، وموضحو الصحيح لدينا من ذلك، بأوجز ما أمكن من الإيجاز في  
ذلك، وأخصر ما أمكن من الاختصار فيه».

(١) بيتر هيث (1949-2014): متخصص في اللغة العربية والأدب المقارن، تخرّج في جامعة هارفرد،  
وعمل في عدد من المؤسسات العلمية في الولايات المتحدة وفي العالم العربي، عمل كرئيس الجامعة  
الأمريكية بالشارقة، له عدد من الكتابات حول تاريخ الأدب العربي. (قسم الترجمات).

(٢) انظر: Heath, 'Creative Hermeneutics', p. 181.

(٣) انظر: Cooper, The Commentary on the Qur'an by al-Ṭabarī, p. 9.

وفي مقدمة تاريخه حيث التركيز المعلن على تاريخ الملوك نجد أن المنهج الأولي الذي أعلنه الطبري مشابه إلى حد كبير، فهناك محاولة للاستيعاب «من انتهى إلينا خبره»، لكن يأتي هذا جنباً إلى جنب مع هدف محدد، ألا وهو الاقتصاد على وجيز من الدلالة غير طويل «إذ الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر وتطول به الكتب»<sup>(١)</sup>:

«وأنا ذاكرٌ في كتابي هذا من ملوك كلِّ زمان من لدن ابتداء ربُّنا ﷻ خلق خلقه إلى حال فنائبهم، من انتهى إلينا خبره ممن ابتداء الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمه من رسول له مرسل أو ملك مسلط أو خليفة مستخلف، فزاده إلى ما ابتداء به من نعمه في العاجل نعمًا وإلى ما تفضّل به عليه فضلًا، ومن آخر ذلك له منهم وجعله له عنده ذخراً، ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتداء به من نعمه وعجل له نقمه، ومن كفر منهم نعمه فمتّعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه، مقروناً ذكر كلِّ من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه وجمل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه، إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر وتطول به الكتب، مع ذكري مع ذلك مبلغ مدة أكله وحين أجله».

ولم يذكر الطبري أيّ توضيح صريح لما يقتضيه التركيز على تاريخ الملوك مقارنة بالتركيز على النصّ القرآني. وفي النواحي التي يتناول فيها الطبري

(١) انظر: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 168–169.

نفس الموضوع في كِلا العملين، تكتسب هذه المسألة أهمية خاصّة، وهو الأمر الذي عالجه محمد حسن خليل في بحث له نُشر سنة ٢٠٠٨ تحت عنوان: "A Closer Look at al-Ṭabarī's Accounts of the Khaybar Spoils, or the Intersection of Law, Historiography, and Exegesis" – (نظرة عن كُتب على تناول الطبري لقصة أنفال خيبر، أو التقاطع بين الفقه والتاريخ والتفسير)، وقال فيه<sup>(١)</sup>: نجد تباينًا واضحًا في الأنواع في المرويات التي يذكرها نفس الشخص، ونكتشف هذا التباين ببساطة من خلال عبور الحدود الفاصلة بين الأنواع الأدبية.

أمّا خليل، الذي ينطلق مما جاء في دراسة ماركو شولر<sup>(٢)</sup> سنة ٢٠٠٠ للروايات المتقابلة التي تناولت قصة توزيع أنفال خيبر في سيرة محمد بن السائب الكلبي (ت: ١٤٦/٧٦٣) وتفسيره، فيرى أن الأخبار التي ذكرها الكلبي في سيرته تبيّن توزيع الأنفال على جميع المحاربين أو كلّ مَنْ حضر من المسلمين، في حين يصرّح في تفسيره أنها وُزعت على فقراء المهاجرين. وكما يوضح شولر فإن هذا يتفق مع ما جاء في الآية الثامنة من سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ

(١) انظر: Khalil, 'A Closer Look at al-Ṭabarī's Accounts of the Khaybar Spoils', p.

(٢) ماركو شولر (١٩٦٨-)، أستاذ التاريخ الإسلامي في معهد الدراسات العربية والإسلامية في جامعة مونستر الألمانية، تركز اهتماماته في السيرة النبوية وتاريخ التفسير. (قسم الترجمات).

الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١﴾، وذهب الكلبي في تفسيره إلى أن المهاجرين هم من شهدوا الحديبية أو من عادوا من الحبشة، غير أن ابن هشام في تهذيبه لسيرة الكلبي لم يتعرض لهذه المسألة. واستنتج شولر من هذا وجود تضارب كبير بين الآثار المعتمدة التي وردت في مرويات السيرة والآثار غير المعتمدة التي ظهرت في التفسير المبكر. ويأتي محمد حسن خليل ليسلط الضوء على هذه المسألة المنهجية في مؤلفات الطبري المتأخرة، ويجد أن قضية شهود الحديبية لا ترد إلا في الرواية التاريخية لأسباب شرعية من وجهة نظره. وهنا فإن التركيز المعلن على التاريخ مقارنة بالتفسير يسفر عن معايير أكثر صرامة في التدقيق الشرعي.

وفيما يأتي محاولة لإبراز الوسائل التحريرية التي اتبعها الطبري مع الإشارة بشكل تفصيلي إلى النسخ المتقابلة من قصة آدم والهبوط إلى الأرض وفق ما جاء في تفسير الطبري وتاريخه<sup>(٢)</sup>. ومجموع القصص المذكورة فيما

(١). Schöller, 'Sīra and Tafsīr'.

(٢) للاطلاع على قصة الهبوط بوجه عام، انظر على سبيل المثال: Schöck, Adam im Islam، انظر

أيضاً: محمود، قصة الخلق والعصيان؛ Neuwirth, 'Negotiating Justice', Parts I and II؛ Spellberg, 'Writing the Unwritten Life of the Islamic Eve' لمعرفة دور إبليس تحديداً،



يخصّ هبوط آدم إلى الأرض تتألف من مادة متكرّرة في تفسير الطبري لقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ في الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة<sup>(١)</sup>، والمادة المكرّرة لا ترد بنفس الترتيب في المصدرين ولكن حجم التلاقي بين التاريخ والتفسير مدهش. وعلى النقيض، فإنّ المادة التالية لذلك في التاريخ لا تتلاقى بشكل كبير مع ما جاء في التفسير.

ويركّز القسم الأول في البحث الذي بين أيدينا على الجزء الذي يتناول قصة هبوط آدم في تاريخ الطبري ليستكشف المنطق الذي سار عليه في إسقاط بعض العناصر التي ذكرها في تفسيره للآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة عند معالجة هذه القصة في تاريخه، وتقييم أثر اختلاف ترتيب المادة في كلا التخصصين. كما يستند إلى مثال خلق حواء السابق والذي يتألف هو الآخر من مادة تفسيرية معاد ترتيبها. أمّا القسم الثاني فيركز على حديث التوبة، وفيه تلاقٍ يسير بين تاريخ الطبري وتفسيره للآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾، وتتضمن الأخبار التي وردت في ذكر التوبة مادة إضافية لم ترد في تفسير الطبري مع بعض المرويات المتفرقة في

انظر: Awn, Satan's Tragedy and Redemption; Bodman, The Poetics of Iblīs and 'Stalking Iblīs'; Butler, 'Reading Satan'.

(١) ترجمة معاني الآيات القرآنية مأخوذة من ترجمة: محمد عبد الحليم.

تفسيره للآية الثانية والعشرين من سورة الأعراف: ﴿فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾، والآية ١١٧ من سورة طه: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾. أمّا القسم الثالث فيُلقي الضوء على مواطن الشبه والاختلاف بين التخصّصين في ضوء تعليقات الطبري التحريرية وفهمه للمادة التي ينقلها. وختامًا يتناول القسم الرابع مدى إمكانية الإفادة من تفسير الطبري للمقاطع القرآنية ذات الصلة لإبراز ترابطها الداخلي وأثرها على طريقة اختيار هذه المادة لإدراجها في تفسيره.

## ١ - قصة هبوط آدم في تاريخ الطبري؛

تألف قصة هبوط آدم في تاريخ الطبري من مادة مذكورة أيضًا في تفسيره لقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ من الآية السادسة والثلاثين في سورة البقرة، علاوة على أخبار متفرقة من تفسير قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة، وكذلك قوله: ﴿قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من الآية الرابعة والعشرين من سورة الأعراف. وكما يبين الجدول (١) الذي يشمل على الأخبار التي وردت في تفسير الطبري لقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾، وعددها ثمانية عشر خبراً، وردت عشرة أخبار منها نصاً في تاريخ الطبري. وبعد معالجة تحريرية موجزة يختتم الطبري قصة هبوط آدم بذكر ثلاثة أخبار أخرى، يتكرر اثنان منها في تأويل قوله: ﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]، أمّا الخبر الثالث فيرد كذلك في تفسيره لآية سورة الأعراف.

## يوضح الجدول ١ نقل المادة التفسيرية إلى الرواية التاريخية لهبوط آدم

مقدمة من المؤلف ذكر فيها امتحان الله لآدم وابتلاءه إياه، وذكر ركوب آدم معصية ربّه فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى نكد عيش أهل الأرض. ونهى الله آدمَ وزوجته عن شجرة واحدة فوسوس إليهما الشيطان وزين لهما الأكل منها فعصيا ربهما وبدت سواتهما<sup>(١)</sup>.

<p>أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة، فمنعته الخزنة. فأتى الحيّة فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فمها، فمرت الحيّة على الخزنة فدخلت فكلمه من فمها فلم يبال كلامه، فخرج إليه فقال: هل أدلك على شجرة إن أكلت</p>	<p>التاريخ: الخبر الأول.</p> <p>التفسير: الخبر (١٨/٦) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>
--	---

(١) تارة يستخدم الطبري لفظ إبليس وتارة أخرى يستخدم الشيطان في تاريخه وتفسيره، وهذا يوحي بدوره أن كلمة الشيطان على الأرجح وصفٌ لا إشارةً إلى شخصية أخرى غير إبليس. وهناك من يرى أن إبليس والشيطان كيانان مختلفان، انظر: Bodman, The Poetics of Iblīs, pp. 3–4.

<p>منها كنت ملكًا، أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبدًا؟ وإنما أراد بذلك لِيُبْدِي لهما ما توارى عنهما من سواتهما بهتك لباسهما، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدّمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإني قد أكلت فلم يضرّني. فلما أكل آدم بدت لهما سواتهما وظفقا يخرصان عليهما من ورق الجنة.</p>		
<p>كلّ الدواب أبقى مساعدة إبليس إلا الحية وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها.</p>	<p>التفسير: الخبر (١٣/١٨) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر الثاني.</p>

<p>لَمَّا أَسْكَنَ اللَّهُ تَعَالَى آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْجَنَّةَ وَنَهَا عَنْ الشَّجَرَةَ، وَكَانَ لَهَا ثَمَرٌ تَأْكُلُهُ المَلَائِكَةُ لَخُلْدِهِمْ، فَلَمَّا أَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَسْتَزِلَّهُمَا دَخَلَ فِي جُوفِ الْحَيَّةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ الْحَيَّةُ الْجَنَّةَ خَرَجَ مِنْ جُوفِهَا إِبْلِيسُ فَأَخَذَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَى اللَّهُ عَنْهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ، فَجَاءَ بِهَا إِلَى حَوَاءَ فَأَخَذَتْ حَوَاءَ فَأَكَلَتْ مِنْهَا، ثُمَّ ذَهَبَتْ بِهَا إِلَى آدَمَ فَأَكَلَ مِنْهَا آدَمَ فَبَدَتْ لِهَمَّا سَوَاتِمَهُمَا، فَدَخَلَ آدَمُ فِي جُوفِ الشَّجَرَةِ، وَلَعَنَ اللَّهُ الأَرْضَ وَحَوَاءَ وَالْحَيَّةَ.</p>	<p>التفسير: الخبر (٤/١٨) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر الثالث.</p>
---	--	---------------------------------------

<p>نهى الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة في الجنة، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية فكلم حواء فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة، وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.</p> <p>ونادى الله آدم: لِمَ أَكَلْتَهَا وقد نهيتك عنها؟ قال: يا رب أطعمتني حواء، قال لحواء: لِمَ أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لِمَ أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، قال: ملعونٌ مدحورٌ، ولعن الله حواء والحية.</p>	<p>التفسير: الخبر (١٥ / ١٨) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر الرابع.</p>
---	---	---------------------------------------

<p>أنّ الشيطان دخل الجنة في صورة دابة ذات قوائم، فكان يُرى أنه البعير، فلُعن فسقطت قوائمه فصار حيّة.</p>	<p>التفسير: الخبر (١٨ / ٧) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر الخامس.</p>
<p>إنّ من الإبل ما كان أولها من الجنّ، قال: فأبيحت له الجنة كلها -يعني آدم- إلا الشجرة، قال: فأتى الشيطان حواء فبدأ بها، فقال: نُهيئُما عن شيء؟ قالت: نعم، عن هذه الشجرة! فقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، قال: فبدأت حواء فأكلت منها، ثم أمرت آدم فأكل منها، قال: وكانت شجرة من أكل منها أحدث،</p>	<p>التفسير: الخبر (١٨ / ٨) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر السادس.</p>



<p>قال: ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث، فأخرج آدم من الجنة.</p>		
<p>قال: لو أننا خلدنا! فاعتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه فأتاه من قبل الخلد.</p>	<p>التفسير: الخبر (١٨/٩) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر السابع.</p>
<p>أذ يموتان، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تُخَلَّدَا.</p>	<p>التفسير: الخبر (١٨/١٠) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر الثامن.</p>
<p>وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها، ثم حسنها في عين آدم،</p>	<p>التفسير: الخبر (١٨/١١) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر التاسع.</p>

<p>قال: فدعاها آدم لحاجته، قالت: لا، إلا أن تأكل من هذه الشجرة. قال: فأكَّلا منها فبدت لهما سوآتهما، وذهب آدم هاربًا في الجنة فناداه ربه، ثم لعن حواء، فصارت تدمي كلَّ شهر.</p>		
<p>ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سَقَّتْهُ الخمير حتى إذا سَكِرَ قاداته إليها فأكل منها.</p>	<p>التفسير: الخبر (١٢/١٨) الذي ورد في تفسير قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦].</p>	<p>التاريخ: الخبر العاشر.</p>

وكان الأولى أن لا ينقل الطبري الأخبار (١-٣، ٥، ١٤، ١٦-١٨) من تفسيره لآية: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ [البقرة: ٣٦]، إلى مؤلفه في التاريخ، والسبب في هذا واضح (ويتفق تمامًا مع التحليل المبدئي لهيث). وكما يوضح الجدول (٢) أدناه فإن الآثار الثلاثة الأولى تتناول بشكل أساسي القراءات الشاذة. ويذكر الطبري أن قراءة (أَزَلَّهُمَا) التي قرأ بها الجمهور تؤكد على مدى تورط إبليس، ويرفض قراءة (أَزَالَهُمَا)، ويسوق ما ذكره ابن عباس في معنى (أَزَلَّهُمَا)،

ثم يبيّن سبب رفضه لقراءة (أزالهما). ولا مجال لذكر هذا كلّ في سياق الإطار التاريخي. أمّا الخبر الخامس الذي يرويّه ابن عباس فهو نسخة مكرّرة من خبرٍ سابقٍ رواه وهب بن منبّه، ومرة أخرى يتوقّع المرء أن يكون التفسير أكثر شمولاً وأكثر عناية بالأسانيد في هذين التخصّصين. أمّا الخبر الرابع عشر الذي يرويّه ابن إسحاق وأهل التوراة (وخطاب الحيّة لآدم وليس حواء) فيمكن القول بأنه لا يحظى إلا بأهمية هامشية.

يوضح الجدول ٢ تفسير الطبري لقوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ من الآية ٣٦ سورة البقرة	
الإسقاط من الرواية التاريخية	الاستخدام في الرواية التاريخية
الطبري: قراءة الجمهور (أزلهما) تؤكد على دور إبليس؛ وهناك رفض لقراءة (أزالهما).	
ابن عباس يبيّن معنى (أزلهما).	
الطبري يبيّن سبب رفضه لقراءة (أزالهما).	
	وهب بن منبّه: أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ونهاه عن الشجرة، فلما أراد إبليس أن يستزلهما دخل في جوف

	<p>الحية، فأخذ من الشجرة فجاء بها إلى حواء فأخذت حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم فأكل منها آدم، فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم في جوف الشجرة، ولعن الله الأرض وحواء والحية.</p>
<p>رُوي عن ابن عباس نحو هذه القصة.</p>	
	<p>روى أبو مالك، وابن عباس وابن مسعود وغيرهم من الصحابة أن إبليس أراد أن يدخل عليهما الجنة، فمنعته الخزنة، فأتى الحية فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فمها، فدخلت فكلم آدم من فمها فلم يبال كلامه، فخرج إليه فقال: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكاً، أو تكونا من الخالدين فلا تموتان أبداً؟ وإنما أراد بذلك ليُبدي لهما ما توارى عنهما من</p>

	<p>سوأتهما بهتك لباسهما، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدّمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإني قد أكلت فلم يضرّني. فلما أكل آدم بدت لهما سوأتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.</p>
	<p>عن محدّث: أنّ الشيطان دخل الجنة في صورة دابة ذات قوائم، فكان يرى أنه البعير، قال: فلُعن، فسقطت قوائمه فصار حية.</p>
	<p>أبو العالية: إنّ من الإبل ما كان أولها من الجنّ، قال: فأبيحت له الجنة كلّها -يعني آدم- إلاّ الشجرة، قال: فأتى الشيطان حواء، فبدأ بها فقال: نُهيئُما عن شيء؟ قالت: نَعَمْ، عن هذه الشجرة! فقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلاّ أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين. قال: فبدأت حواء</p>

	<p>فأكلت منها ثم أمرت آدم فأكل منها، قال: وكانت شجرة مَنْ أكلَ منها أحدث، قال: ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث، فأخرج آدم من الجنة.</p>
	<p>ابن إسحاق: أن آدم حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة وما أعطاه الله منها، قال: لو أن خُلدًا كان! فاغتمز فيها منه الشيطان لَمَا سمعها منه، فأتاه من قِبَل الخلد.</p>
	<p>ابن إسحاق: أن الشيطان ناح عليهما، وزعم أنه يبكي حزناً عليهما إذ يموتان، وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تُخَلِّدَا.</p>
	<p>ابن زيد: وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ثم حسنها في عين آدم، قال: فدعاها آدم لحاجته، قالت: لا، إلا أن تأكل من هذه</p>

	<p>الشجرة. قال: فأكلًا منها فبدت لهما سوأتهما، وذهب آدم هاربًا في الجنة فناداه ربه، ثم لعن حواء، فصارت تدمي كل شهر.</p>
	<p>سعيد بن المسيب: ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمير، حتى إذا سكر قادتته إليها فأكل.</p>
	<p>ابن عباس: كل الدواب أبي مساعدة إبليس إلا الحية وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله وجعلها تمشي على بطنها.</p>
<p>قال ابن إسحاق: وأهل التوراة يدرسون: إنما كلم آدم الحية.</p>	
	<p>محمد بن قيس، قال: نهى الله آدم وحواء أن يأكلًا من شجرة واحدة في الجنة، ويأكلًا منها رغدًا حيث شاءا. فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية فكلم حواء، ووسوس الشيطان إلى</p>

	<p>آدم، فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة. وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما، وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، ونادى الله آدم: لِمَ أَكَلْتَهَا وقد نهيتك عنها؟ قال: يا رب أطعمتني حواء، قال لحواء: لِمَ أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية، قال للحية: لِمَ أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس، قال: ملعونٌ مدحورٌ، ولعن الله حواء والحية.</p>
<p>الطبري: اضطر إبليس إلى أن يكلم آدم وحواء بنفسه، صراحة أو بطريقة أخرى مما ذكره المتأولون، وليس فيما روي عن ابن عباس ووهب بن منبه في ذلك معنى يجوز لذي فهم مدافعتة؛ إذ كان ذلك قولاً لا يدفعه عقلٌ ولا خبرٌ يلزم تصديقه من حجة بخلافه، وهو من الأمور الممكنة.</p>	



<p>قال ابن إسحاق (كما قال ابن عباس وأهل التوراة): إنه خلص إلى آدم وزوجته بسلطانه الذي جعل الله له ليتلي به آدم وذريته، واستشهد بما جاء في سورة البقرة: الآية ٣٦، والأعراف: الآية ٢٧، وسورة الناس (١-٢)، وحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»، واستشهد بالآية ١٣ من سورة الأعراف، والآية ١٢٠ من سورة طه، وأن إبليس خلص إليهما ثم تابا.</p>	
<p>الطبري: يدلّ القرآن على أنّ إبليس خلص إلى آدم وحواء بالمخاطبة.</p>	

واستثناءً للكلام، فإن الخبر السادس عشر يبيّن أنّ إبليس قد خلص إلى آدم وحواء بنفسه أو بطريق آخر. وما روي عن ابن عباس (بيدو أن الطبري يشير هنا إلى الخبر السادس، انظر الجدول الثاني أعلاه) أمرٌ لا ترفضه العقول، وما ذكره ابن عباس ووهب بن منبه عن سبب وصوله إلى الجنة حتى كلم آدم هو

قول لا يدفعه عقل ولا خبر يلزم تصديقه من حجة بخلافه، وهو من الأمور الممكنة. وهذا الكلام زيادة واستنتاج من المؤلف من الطبيعي أن يكون خاصاً بهذا العمل دون غيره. والخبر الأخير المذكور في هذا الجزء (برواية ابن إسحاق وابن عباس وأهل التوراة من أن إبليس خلص إلى آدم وزوجته بسلطانه الذي جعل الله له ليتلي به آدم وذريته) هو حجة كلامية إلى حد كبير، وسوف يسوق الطبري اعتراضه عليها في كلامه في التفسير. والسبب الذي يجعل هذه الأخبار الواردة في تفسير الطبري لجملته: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ غير مناسبة للسياق الجديد في تاريخ الطبري، هو سبب واضح تماماً.

واقصار الطبري على روايتين من المادة المتاحة في تفسيره للآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿وَقَلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مرده الإيجاز. وكما يوضح الجدول (٣) فإن الطبري يذكر في تاريخه ما يجسد الموقف برمته، فهؤلاء الذين لعنوا والأعداء هم آدم وحواء وإبليس والحية، ويغض الطرف عن الأخبار التي تجسد التباديل المتنوعة (التي تذكر الذرية أو لا تذكر حواء أو الحية أو كليهما).

يوضح الجدول ٣ تفسير الطبري لقوله: ﴿وَقُلْنَا أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من الآية ٣٦ سورة البقرة	
الإسقاط من الرواية التاريخية	الاستخدام في الرواية التاريخية
<p>الطبري: قد أبان هذا القول من الله -جل ثناؤه- عن صحة ما قلنا من أنّ مُخْرِجِ آدَمَ مِنَ الْجَنَّةِ هُوَ اللَّهُ -جَلَّ ثَنَاؤُهُ-. ودلّ بذلك أيضًا على أنّ هبوط آدم وزوجته وعدوهما إبليس كان في وقت واحد، بعد الذي كان من خطيئة آدم وزوجته، وتسبب إبليس ذلك لهما.</p>	<p>عن أبي صالح: ﴿أَهْبَطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قال: آدم وحواء وإبليس والحية.</p>
<p>عن السدي قال: فلعن الحية وقطع قوائمها، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية.</p>	

<p>عن مجاهد في قول الله: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قال: آدم وإبليس والحية.</p>	
<p>عن مجاهد: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، آدم وإبليس والحية، ذرية بعضهم أعداء لبعض.</p>	
<p>عن مجاهد: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قال: آدم وذريته، وإبليس وذريته.</p>	
<p>عن أبي العالية في قوله: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قال: يعني إبليس وادم.</p>	
<p>عن ابن عباس قال: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾: آدم وحواء وإبليس والحية.</p>	
<p>ابن عباس قال: آدم وحواء وإبليس والحية.</p>	
<p>قال ابن زيد في قوله: ﴿أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾، قال: لهما ولذريتهما.</p>	
<p>أما عداوة إبليس آدم وذريته: فحسده</p>	

إياه، واستكباره عن طاعة الله في السجود له حين قال لربه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة ص: ٧٦]. وأمّا عداوة آدم وذريته إبليس، فعداوة المؤمنين إياه لكفره بالله وعصيانه لربه في تكبره عليه ومخالفته أمره. وأمّا عداوة ما بين آدم وذريته والحية، فقد ذكرنا ما رُوي في ذلك، ثم أورد حديثاً (بروايتين) في هذا الصدد.

بالمثل، فإنّ القصة التي نُقلت إلى الروايات التاريخية من تفسير الطبري للآية الرابعة والعشرين من سورة الأعراف: ﴿قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ تبدو الاختيار الأنسب من بين المادة المتاحة، فما عداها تعليق تحريري وخبر موجز عن أبي صالح يحدّد المخاطبين في هذا السياق لا أكثر.

يوضح الجدول ٤ تفسير الطبري للآية الرابعة والعشرين من سورة الأعراف: ﴿ قَالَ

أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾.

الإسقاط من الرواية التاريخية	الاستخدام في الرواية التاريخية
<p>الطبري: وهذا خبر من الله -تعالى ذكره- عن فعله بإبليس وذريته، وآدم وولده، والحيّة، يقول -تعالى ذكره- لآدم وحواء وإبليس والحيّة: اهبطوا من السماء إلى الأرض، بعضكم لبعض عدو.</p>	
	<p>عن السدي قال: فلَعَنَ الحية، وَقَطَعَ قوائمها، وتركها تمشي على بطنها، وجعل رزقها من التراب، وأهبطوا إلى الأرض: آدم، وحواء، وإبليس، والحيّة.</p>
<p>عن أبي صالح: ﴿ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾، قال: آدم، وحواء، والحيّة.</p>	

وفي مقابل هذا النموذج للتداخل النصي نجد مثلاً رائعاً للنموذج المقابل في قصة خلق حواء التي تأتي مباشرة قبل هبوط آدم إلى الأرض في تاريخ الطبري، فتألف من مادة تفسيرية فقط: ثلاثة أخبار (متصلة) من تفسير الطبري للآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، يلي ذلك ثلاثة أخبار (متصلة) من تفسير الآية الأولى من سورة النساء؛ ولذا فإن المقطع الذي يتناول قصة خلق حواء في التاريخ يبدأ بالخبر الرابع (من ثمانية أخبار) وردت في شرح الطبري لآية: ﴿وَقَلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾. وذكر ابن عباس وابن مسعود وغيرهما أن الله أخرج إبليس من الجنة وأسكنها آدم، وحتى لا يستوحش آدم فيها خلق الله حواء من ضلع آدم وهو نائم، ولما استيقظ آدم سألها عن اسمها ولم تخلق، ثم سألت الملائكة آدم عن اسمها. ويختم هذا الجزء بذكر النصف الأول من الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة<sup>(١)</sup>. ثم يذكر الطبري بعد ذلك الخبر الخامس (من ثمانية) من نفس الموضوع في تفسيره، وهو حديث روي عن ابن إسحاق قال: لما فرغ الله من إبليس ومعاتبته، وأبى إلا المعصية وأوقع عليه اللعنة، ثم أخرجه من الجنة، أقبل على آدم وقد علّمه الأسماء كلها، فقال: ﴿يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، إلى قوله:

(١) انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ١، ص ٦٩ (انظر أيضاً: Rosenthal, The History of al-

(Tabarī. Vol. I, p. 273). أي إشارة إلى تاريخ الأمم والملوك يرد بها في هذا البحث الجزء الأول.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(١)</sup>. أما الخبر الأخير الذي نقله من تفسير الطبري لقوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾، فهو خبر مركب رُوي عن أهل الكتاب وابن عباس وغيرهم (الخبر السادس من ثمانية)، وفيه أنّ الله ألقى السنّة على آدم ثم أخذ ضلعًا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأَمّ مكانه لحمًا، وآدم نائم لم يهب من نومته، حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء، فسوّاها امرأة ليسكن إليها. فلما كشف عنه السنّة وهب من نومته، رآها إلى جنبه، فقال -فيما يزعمون والله أعلم-: لحمي ودمي وزوجتي، فسكن إليها. فقال له الله: ﴿يَتَّادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

ويأتي عقب هذا المقطع التفسيري ثلاثة أخبار مأخوذة من المادة التي ساقها الطبري في شرح معنى قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ من الآية الأولى في سورة النساء. فالخبر الثاني (من سبعة أخبار) مروى عن مجاهد في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، قال: حواء، من قصيري آدم وهو نائم، فاستيقظ فقال: (أثا) = بالبنطية:

(١) نفس المرجع. ويذكر الطبري هذا الخبر مرتين في تفسيره، مرّة قبل الخبر الرابع وأخرى بعده.

(٢) الطبري، التاريخ، ص ٦٩-٧٠؛ انظر أيضًا: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 273-274.



امرأة<sup>(١)</sup>. ومما يثير الدهشة أن يسوق الطبري الحديث بإسناد آخر عن الحديث الثالث في تفسيره قال فيه: حدثنا المثنى، قال: حدثنا أبو حذيفة، قال: حدثنا شبل، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد: مثله. أمّا الإسناد الأول فقال فيه: حدثني محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجیح، عن مجاهد<sup>(٢)</sup>. والخبر الأخير في هذا الجزء من كتاب التاريخ مطابق للخبر الرابع (من السبعة) في التفسير في بيان معنى: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: يعني حواء، خلقت من آدم، من ضلع من أضلاعه. وهو حديث مروى عن قتادة<sup>(٣)</sup>.

أمّا المادة التي لا يرد ذكرها هنا فيما يخص الحديث عن الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة فتتألف من أخبار تذكر وقت طرد إبليس من الجنة (وتبدأ بمقدمة من المؤلف يليها خبران عن أبي مالك وابن عباس وابن مسعود وجمع من الصحابة وابن إسحاق)، ثم تعليقات معجمية (يبين فيها المؤلف المراد بكلمة زوج وزوجة). ومتن الخبر الثالث مكرّر في الخبرين الخامس والسادس في تفسير: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: الآية الأولى]، وهو تأكيد لما

(١) الطبري، التاريخ، ص ٧٠؛ Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 274. يتساءل روزنتال عن سبب استخدام حرف الثاء هنا مشيراً إلى أن اللغة الآرامية تشتمل على حرف تاء متوسطة (أتا) بمعنى: امرأة.

(٢) انظر: الطبري، التاريخ، ص ٧٠؛ Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 274.

(٣) نفس المرجع.

ذُكر في الخبرين الرابع والسادس في تفسير: ﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥]. أمّا الخبر السابع الذي يبيّن أن حواء خلقت من آدم فهو معلومة زائدة في ضوء الروايات التي ساقها الطبري في تاريخه. يتضح من هذا وجود مبرر منطقي في اختيار الطبري عدم ذكر أمور بعينها في تناوله التاريخي لقصة خلق حواء.

الجدول (٥) يبيّن نقل المادة التفسيرية إلى الرواية التاريخية لخلق حواء	
التاريخ	التفسير
	تفسير الطبري للآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة: ﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾.
التفسير: الخبر الأول.	قال الطبري: وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحة قول من قال: إن إبليس أُخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم، وأسكنها آدم قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض. ألا تسمعون الله - جل ثناؤه - يقول: ﴿وَقُلْنَا يَتَّادِمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥) فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ. فقد تبين أن إبليس إنما

<p>أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر؛ لأن سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نُفخ فيه الروح، وحينئذ كان امتناع إبليس من السجود له، وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة.</p>		
<p>عن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ: أن عدو الله إبليس أقسم بعزة الله ليُغوين آدم وذريته وزوجه، إلا عباده المخلصين منهم، بعد أن لعنه الله، وبعد أن أخرج من الجنة، وقبل أن يهبط إلى الأرض.</p>	<p>التفسير: الخبر الثاني.</p>	
<p>عن ابن إسحاق، قال: لمّا فرغ الله من إبليس ومعاتبته، وأبى إلا المعصية وأوقع عليه اللعنة، ثم أخرجه من الجنة، أقبل على آدم وقد علّمه الأسماء كلّها، فقال: ﴿يَتَّادُمُ أَنْبَتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.</p>	<p>التفسير: الخبر الثالث.</p>	
<p>عن ناسٍ من أصحاب النبي ﷺ: فأخرج إبليس من الجنة حين لعن، وأُسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها، فنام نومة فاستيقظ، وإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه، فسألها: من أنتِ؟ فقالت: امرأة، قال: ولم</p>	<p>التفسير: الخبر الرابع.</p>	<p>التاريخ: الخبر الأول.</p>

<p>خُلِقَتْ؟ قالت: تسكن إليّ، قالت له الملائكة - ينظرون ما بلغ علمه-: ما اسمها يا آدم؟ قال: حواء، قالوا: ولم سمّيت حواء؟ قال: لأنها خلقت من شيء حيّ، فقال الله له: ﴿يَتَّادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾.</p>		
<p>عن ابن إسحاق، قال: لمّا فرغ الله من معابطة إبليس، أقبل على آدم وقد علّمه الأسماء كلها، فقال: ﴿يَتَّادُمُ أَنْبِئْتُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾، إلى قوله: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.</p>	<p>التفسير: الخبر الخامس.</p>	<p>التاريخ: الخبر الثاني.</p>
<p>عن أهل الكتاب من أهل التوراة وعدد من الصحابة منهم ابن عباس: ثم ألقى السنّة على آدم، ثم أخذ ضلعًا من أضلاعه من شقه الأيسر، ولأَمَّ مكانه لحمًا، وآدم نائم لم يهَبَّ من نومه، حتى خلق الله من ضلعه تلك زوجته حواء؛ فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كشف عنه السنّة وهبَّ من نومه، رآها إلى جنبه، فقال -فيما يزعمون والله أعلم-: لحمي ودمي وزوجتي، فسكن إليها. فلما</p>	<p>التفسير: الخبر السادس.</p>	<p>التاريخ: الخبر الثالث.</p>

<p>زوجه الله -تبارك وتعالى- وجعل له سكناً من نفسه، قال له، قبلاً: ﴿يَتَادَمُ أَسْكُنُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.</p>		
<p>الطبري: ويقال لامرأة الرجل: زوجه وزوجته.</p>	<p>التفسير: الخبر السابع.</p>	
<p>الطبري: القول في تأويل: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].</p>		
<p>الطبري: وخلق من النفس الواحدة زوجها، يعني (بالزواج)، الثاني لها. وهو فيما قال أهل التأويل: امرأتها حواء.</p>	<p>التفسير: الخبر الأول.</p>	
<p>عن مجاهد في قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، قال: حواء، من قصيري آدم وهو نائم، فاستيقظ فقال: (أنا) = بالنبطية: امرأة.</p>	<p>التفسير: الخبر الثاني.</p>	<p>التاريخ: الخبر الرابع.</p>
<p>عن مجاهد: الخبر السابق بإسناد آخر.</p>	<p>التفسير: الخبر الثالث.</p>	<p>التاريخ: الخبر الخامس.</p>
<p>عن قتادة: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، يعني: حواء، خلقت</p>	<p>التفسير:</p>	<p>التاريخ:</p>

<p>من آدم، من ضلع من أضلاعه.</p>	<p>الخبر الرابع.</p>	<p>الخبر السادس.</p>
<p>عن السدي قال: أُسكن آدم الجنة، فكان يمشي فيها وحشًا ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة، فاستيقظ، فإذا عند رأسه امرأة قاعدة، خلقها الله من ضلعه، فسألها: ما أنتِ؟ قالت: امرأة، قال: ولمْ خُلِقْتِ؟</p>	<p>التفسير: الخبر الخامس.</p>	
<p>عن أهل الكتاب من أهل التوراة وعدد من الصحابة منهم ابن عباس: ألقى على آدم ﷺ السَّنة، ثم أخذ ضلعًا من أضلاعه، من شِقِّه الأيسر، ولأَمِّ مكانه، وآدم نائم لم يهَبَّ من نومته، حتى خلق الله -تبارك وتعالى- من ضلعه تلك زوجته حواء، فسوّاها امرأة ليسكن إليها، فلما كشفت عنه السَّنة وهبَّ من نومته، رآها إلى جنبه، فقال -فيما يزعمون، والله أعلم-: لحمي ودمي وزوجتي.</p>	<p>التفسير: الخبر السادس.</p>	
<p>عن السدي: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾: جعل من آدم حواء.</p>	<p>التفسير: الخبر السابع.</p>	

ليس هناك ما يثير الدهشة في أن نجد في تاريخ الطبري عناصر مكرّرة كما هي في تفسيره؛ فالطبري قد صنّف كتبه بطريقة منهجية كما يتضح من الأخبار التي ساقها ياقوت في ترجمة الطبري. ومما ورد في الحديث عن الطبري أنه كان لعنايته بدرس العلم تُعَبِّى كتبه في جانب حارته ثم يبتدئ فيدرس الأول فالأول منها إلى أن يفرغ منها، وهو ينقلها إلى الجانب الآخر، فإذا فرغ منها عاد في درسها ونقلها إلى حيث كانت<sup>(١)</sup>. وفي خبر آخر قال أبو القاسم الحسين بن حبيش الوراق: كان قد التمس منّي أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعت له نيفاً وثلاثين كتاباً، فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعِهِ للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردّها عليّ وفيها علامات له بحمرة قد علّم عليها<sup>(٢)</sup>.

ولا يبدو مستغرباً أن نجد الطبري نقل فقرات قصيرة من تفسيره إلى كتابه في التاريخ بالترتيب ذاته، ودون أثر لأيّ تعديل؛ ويمكن الاستناد إلى هذا في تفسير إيراده نفس الخبر بإسناد آخر في الرواية التاريخية ولا فرق يُذكر بين الخبرين. ومع ذلك فهناك بعض الحالات تحتاج إلى مزيد تفسير حين يتغيّر

(١) انظر: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 51–52، وينقل هنا كلام ياقوت في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء).

(٢) انظر: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 120، وينقل هنا كلام ياقوت في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء).

الترتيب الذي ورد به الخبر في التفسير عن موضعه الجديد في التاريخ بلا سبب واضح غير اختلاف الفنّ. ولا نجد هذا في قصة خلق آدم، لكنه سمة واضحة في المعالجة التاريخية لقصة الهبوط إلى الأرض.

على سبيل المثال، لا يبدأ الطبري المادة التاريخية لقصة آدم والهبوط إلى الأرض بالخبر الذي افتتح به تفسير الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة (الخبر الرابع عن وهب بن منبه)، وإنما بالخبر السادس الذي رواه ابن عباس وابن مسعود وناسٌ من الصحابة. ويمكن القول إنّ هذا مقصودٌ من المؤلف على عدّة مستويات؛ فعلى عكس تناوله للمادة في سياق التفسير، فإنّ الرواية التاريخية بسبب هذا اللون من التأليف تقدّم قصة مستقلة بذاتها إلى حدّ ما؛ ولهذا فإنّ الخبر الافتتاحي يكتسب أهمية أكبر في سياق الأحداث المحيطة ويمثّل مقدّمةً للموضوع بطريقة لا تلزم في تفسير الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة التي سبقتها مادة تفسيرية أعمّ في تأويل الآية الخامسة والثلاثين (التي اشتملت على إشارة للهبوط لم تتكرّر في الأخبار التي تناولت خلق حواء، والتي تأتي هي الأخرى في المقطع السابق تمامًا في كتاب التاريخ). وكما نلاحظ في الجدول السادس أدناه، فإنّ الخبر السادس الذي تقف فيه الأحداث عند ظهور سوأة آدم وحواء هو الخبر الافتتاحي الأنسب وليس الخبر الرابع الذي ينتقل بالأحداث إلى لعن الأرض التي خلقت منها آدم، ولعن حواء والحية. أمّا الخبر السادس فيبني على العديد من الآيات القرآنية ذات الصلة (الآية ٣٥ من



سورة البقرة، والآية ١٢٠ من سورة طه، والآية ٢١ من سورة الأعراف، ثم الآية ١٢١ من سورة طه بهذا الترتيب) لينسج خيوط القصة، بينما يأتي الخبر الرابع ليقدم استطراداً لا يرد فيه استشهاد مباشر بالمادة القرآنية. وبالتالي فإن افتتاح قصة الهبوط في كتاب التاريخ بالخبر الذي يرويه ناسٌ من الصحابة هو الأنسب إذ هو أوثق، ويكون مجيئه في سياق التفسير أقل أهمية؛ نظراً لأنه محاط بمادة قرآنية ويأتي في فنٍ ينصبّ تركيزه في الأساس على القرآن<sup>(١)</sup>.

ومع إعادة ترتيب المادة التفسيرية اللاحقة في سياق التاريخ، وتحديداً

الأخبار ١٣، ١٤، ١٥، ٧-١٢ التي وردت في سياق تأويل قوله: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾ في الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة، متبوعة بأخبار منفصلة وردت في تفسير الآية ذاتها وكذلك الآية الرابعة والعشرين من سورة الأعراف، يظهر لنا أن الطبري يصوغ الرواية بتركيز واضح على إبليس باعتباره العامل الأساسي في متابعة أحداث القصة. وإذا تركنا جانباً صوت الطبري نجد مدار الحديث على إبليس بشكلٍ أساسي أو ثانوي في تسعة أخبار من بين عشرة وردت في الجزء الأول من الرواية التاريخية ويرد في ثلاثة أخبار من أربعة في

(١) هناك من يرى أن عزو هذا الخبر لعدد من الصحابة يضيف عليه مصداقيةً وثبوتاً. (لذا فإن بريجيل في عملٍ له بعنوان: 'Isrā'īliyyāt, Myth and Pseudepigraphy', p. 271) يرى أن هذا له هدف واضح في السطور الأولى من الرواية التاريخية).

الجزء الثاني (بعد تعليق من المؤلف). وعلاوة على هذا فمن الممكن رسم خط مفاهيمي عبر الروايات المذكورة كالتالي يشرح فيها الطبري أولاً السبب الذي جعل هدف إبليس أن يبدي لآدم وحواء ما ووري عنهما من سوءاتهما، ثم السبب الذي دفعه للاستعانة بالحية. بعد ذلك يبيّن للقارئ كيف ظهر إبليس في صورة دابة، وشكل الملك الذي اتخذته ليقترّب من آدم، وكيف وسوس إليه، ثم تداعيات هذه الأحداث كلّها.

الجدول السادس: مقارنة بين الأخبار التي افتتحت بها القصة في كتاب التاريخ وكتاب التفسير	
وهب بن منبه	أبو مالك، ابن عباس، ابن مسعود، وناس من الصحابة
<p>لَمَّا أَسْكَنَ اللهُ تَعَالَى آدَمَ وَزَوْجَتَهُ الْجَنَّةَ وَنَهَاهُ عَنِ الشَّجَرَةِ وَكَانَتْ شَجَرَةً غُصُونُهَا مُتَشَعِّبٌ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ، وَكَانَ لَهَا ثَمَرٌ تَأْكُلُهُ الْمَلَائِكَةُ لَخُلْدِهِمْ وَهِيَ الثَّمَرَةُ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ، فَلَمَّا أَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَسْتَزِلَّهُمَا دَخَلَ فِي جُوفِ الْحَيَّةِ، فَلَمَّا دَخَلَتِ الْحَيَّةُ الْجَنَّةَ خَرَجَ مِنْ جُوفِهَا إِبْلِيسُ فَأَخَذَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي نَهَى اللهُ عَنْهَا آدَمَ وَزَوْجَتَهُ فَجَاءَ بِهَا إِلَى حَوَاءَ، فَقَالَ: انظري إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها! فأخذت</p>	<p>لَمَّا قَالَ اللهُ -عز وجل- لآدم: ﴿أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة، فمنعته الخزنة. فأتى الحية فكلّمها أن تُدخِله في فمها حتى تَدْخُلَ به إلى آدم، فأدخلته في فمها فمرّت الحية على الخزنة فدخلت ولا يعلمون لِمَا أَرَادَ اللهُ مِنَ الْأَمْرِ. فكلّمه من فمها فلم يبالِ كلامه، فخرج إليه فقال: ﴿يَتَّادِمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ [سورة طه: ١٢٠]، يقول: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها كنت ملكًا مثل الله -عز وجل-، أو تكونا من</p>

الخالدين، فلا تموتان أبداً. وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين. وإنما أراد بذلك ليبيدي لهما ما تواري عنهما من سواتهما بهتك لباسهما، وكان قد علم أن لهما سواة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك. وكان لباسهما الظفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإني قد أكلت فلم يضرني. فلما أكل آدم بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة.

حواء فأكلت منها، ثم ذهبت بها إلى آدم فقالت: انظر إلى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها! فأكل منها آدم فبدت لهما سواتهما، فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه: يا آدم أين أنت؟ قال: أنا هذا يا رب. قال: ألا تخرج؟ قال: أستحي منك يا رب. قال: ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوگا، ثم قال: يا حواء أنت التي غررت عبيدي فإنك لا تحملين حملاً إلا حملته كرهاً فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً، وقال للحية: أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غر عبيدي، ملعونة أنت لعنة حتى

<p>تتحوّل قوائمك في بطنك ولا يكن لك رزق إلا التراب، أنتِ عدوّ بني آدم وهم أعداؤك.</p>
---

والجزء المركزي في هذه القصة في السياق المقابل في كتاب التفسير (حيث ترد أخبار أطول مقابل تفاصيل دقيقة أو نحوية) ينتقل من بيان طريقة دخول إبليس الجنة إلى الحيلة التي لجأ إليها في إغواء آدم، ثم إلى تداعيات هذه الأحداث؛ ولذا فإنّ القصة كما ترد في التفسير لا تُسهب في بيان ما فعله إبليس مقارنةً بالمعالجة التاريخية، والهدف من هذا صرف التركيز عن إبليس، وتجدر الإشارة إلى أنّ ذكر الخبر الثالث عشر كتتمة للكلام الذي ورد في تأويل الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة في مقابل وروده ضمن الأخبار الافتتاحية في الرواية التاريخية قد غير دوره فلم يعد مجرد مقدمة معتمدة وإنما بيان مفصل متعدّد الأغراض. وحينئذ يمكن القول إنه رغم تساوي المعنى في العملين إلا أنّ كلّ عملٍ منهما له بنيته المميزة وهناك تغيير دقيق في التركيز بين هذين الفنيين، كذلك يمكن أن نلاحظ أثر تغيير موضع خبرٍ معيّن -بعيداً عن كونه تفصيلاً صغيرة- في تحويل أثره ضمن السياق العام للرواية.

## ٢ - قصة التوبة؛

نجد نموذجًا مختلفًا مرة أخرى في قصة التوبة في تاريخ الطبري وفي تفسيره للآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة التي تقصّر على القارئ ما فعله آدم في التوبة من هذا الأمر وما تلا ذلك من هبوطه إلى الأرض. ومرة أخرى تشتمل قصة التوبة في تاريخ الطبري على تداخل مع الروايات التي أوردها الطبري في تفسيره؛ فالأخبار الرابع والسابع والثامن والسابع عشر في تفسير الطبري لقوله: ﴿فَلَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً فَتَبَّ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] تتكرّر في كتاب التاريخ، وفي هذه الحالة ترد الأخبار بشكل متسلسل إلى حدّ ما في الكتابين.

وكما يتضح من الجدول (٧) فيما يأتي فإنّ المادة التفسيرية المستخدمة في كتاب التاريخ تشتمل على خبر يرويه ابن عباس، وفيه يسأل آدم ربه: ألم تخلقني بيدك؟ ويسأله عن رحمته، وعن إمكانية رجوعه إلى الجنة إن تاب، ويوافق الله على طلبه من حيث المبدأ<sup>(١)</sup>. ويأتي هذا في كتاب التاريخ الخبر السابع في التفسير من بين ثلاثة وعشرين خبراً (برواية قتادة) وفيه يسأل آدم ربه إن هو تاب وأصلح أيرجعه الجنة؟ ويوافق الله على طلبه من حيث المبدأ<sup>(٢)</sup>. كذلك يرد الخبر الثامن

(١) انظر: الطبري، التاريخ، ص ٨٥ (انظر أيضًا: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I,

.(p. 302

(٢) نفس المرجع.

من بين ثلاثة وعشرين خبراً في التاريخ: وفيه كلام الحَسَن أن الكلمات هي كلمات آدم وحواء في الآية الثالثة والعشرين من سورة الأعراف<sup>(١)</sup>. أمّا الخبر الأخير الذي يتكرر في تاريخ الطبري من كلامه في تأويل: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّهَا وَبَكَى عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، فهو الخبر السابع عشر: وفيه يؤكد مجاهد أن هذه الكلمات هي كلمات آدم وحواء في الآية الثالثة والعشرين من سورة الأعراف<sup>(٢)</sup>.

وكثير من المادة الدلالية المتخصصة والمكررة التي أوردها الطبري في تفسير قوله: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَتٍ فَلَبَّهَا وَبَكَى عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧]، لا ترد في الجزء الذي يتناول التوبة في تاريخه؛ فالخبر الثالث الذي لا تذكره الرواية التاريخية يتناول القراءات المختلفة، بينما الخبر الثاني (عن ابن زيد) والسادس (عن ابن عباس) والتاسع (عن أبي العالية) والتاسع عشر (عن مجاهد) والواحد والعشرون (عن قتادة) والثاني والعشرون (عن ابن زيد)، جميعها يكرّر ما سبق ذكره بالفعل، إذ تبين هذه الأخبار أنّ الكلمات هي كلام آدم وحواء الوارد في الآية الثالثة والعشرين من سورة الأعراف، أو أنّ الله قد قبّل أن يرجع آدم إلى

(١) نفسه.

(٢) انظر: الطبري، التاريخ، ص ٨٥ (انظر أيضاً: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I,

.p. 303).

الجنة إن تاب؛ ولذا لا يحتاج الطبري إلى إيراد هذه الأخبار في تاريخه إضافةً إلى الخبر السابع والثامن والسابع عشر.

الجدول ٧ يبيّن نقل المادة من تفسير الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة	
الإسقاط من المعالجة التاريخية	الاستخدام في الرواية التاريخية
الطبري: لَقِيَ اللهُ آدَمَ كَلِمَاتِ تَوْبَةٍ، فَتَلَقَّاهَا آدَمُ مِنْ رَبِّهِ وَأَخَذَهَا عَنْهُ تَائِبًا، فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ.	
ابن زيد: قال: لَقَّاهما هذه الآية: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَكُ تَعَفُّرٌ لَنَا وَتَرْحَمًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٢٣].	
بيّن الطبري السبب في عدم قبوله قراءة مَنْ جَعَلَ الْكَلِمَاتِ هِيَ الْمَتَلَقِّيَّةَ آدَمَ، فَرَفَعَ الْكَلِمَاتِ وَنَصَبَ آدَمَ.	
	ابن عباس: ﴿فَلَقَّيْءَ آدَمَ مِنْ رَبِّهِءَ كَلِمَتٍ فَنَابَ عَلَيْهِ﴾، قال: أي ربّ، ألم تخلقني بيدك؟ قال: بلى، قال: أي



	<p>ربّ، ألم تنفخ فيّ من روحك؟ قال: بلى، قال: أي ربّ، ألم تُسكني جنتك؟ قال: بلى، قال: أي ربّ، ألم تسبق رحمتك غضبك؟ قال: بلى، قال: أرايت إن أنا تبتُّ وأصلحتُ، أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال: نعم.</p>
<p>إسناد آخر للخبر ذاته عن ابن عباس.</p>	
<p>عن ابن عباس: قال: إن آدم قال لربه إذ عصاه: ربّ أرايت إن أنا تبتُّ وأصلحتُ؟ فقال له ربه: إني راجعك إلى الجنة.</p>	
	<p>عن قتادة، قوله: ﴿فَلَقَّ عَادُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ﴾، ذكر لنا أنه قال: يا ربّ، أرايت إن أنا تبت وأصلحت؟ قال: إني إذا راجعك إلى الجنة، قال: وقال الحسن: إنهما قالَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.</p>
	<p>قال الحسن: إنهما قالَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا</p>

	<p>أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [الأعراف: ٢٣].</p>
<p>عن أبي العالية: قال: إِنَّ آدَمَ لَمَّا أَصَابَ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ، أَرَأَيْتَ إِنْ تَبَتِ وَأَصْلَحْتُ؟ فَقَالَ اللَّهُ: إِذَا أَرْجَعْتُكَ إِلَى الْجَنَّةِ. فَهِيَ مِنْ الْكَلِمَاتِ، وَمِنْ الْكَلِمَاتِ أَيْضًا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.</p>	
<p>عن السدّي: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَةً﴾، قال: رَبِّ، أَلَمْ تَخْلُقْنِي بِيَدِكَ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَى، قَالَ: وَنَفَخْتُ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَى، قَالَ وَسَبَقَتْ رَحْمَتُكَ غَضَبَكَ؟ قِيلَ لَهُ: بَلَى، قَالَ: رَبِّ، هَلْ كُنْتَ كَتَبْتَ هَذَا عَلَيَّ؟ قِيلَ لَهُ: نَعَمْ، قَالَ: رَبِّ، إِنْ تَبْتُ وَأَصْلَحْتُ، هَلْ أَنْتَ رَاجِعِي إِلَيَّ</p>	

الجنة؟ قيل له: نعم. قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَنَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾

[سورة طه: ١٢٢].

عن عبيد بن عمير: قال آدم: يا رب، خطيئتي التي أخطأتها، أشيء كتبتة عليّ قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بلى، شيء كتبتة عليك قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبتة عليّ فاغفره لي.

إسناد آخر للخبر ذاته عن عبيد بن عمير.

نحوه عن عبيد بن عمير بإسناد آخر.

نحوه عن عبيد بن عمير بإسناد آخر.

نحوه عن عبيد بن عمير بإسناد آخر.

عن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية، أنه قال: قوله: ﴿فَنَلَقَىٰ آدَمَ مِنْ رَبِّهِ﴾

كَلِمَتِ فَنَابَ عَلَيْهِ، قال آدم: اللهم

<p>لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، أستغفرك وأتوبُ إليك، تُبِّ عليَّ إنك أنت التواب الرحيم.</p>	
	<p>عن مجاهد في قوله: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، قال قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.</p>
<p>عن مجاهد، كان يقول في قول الله: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ﴾، الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمتُ نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربي إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الرحامين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي فُتُّب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم.</p>	
<p>عن مجاهد: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ</p>	

كَلِمَتٍ ﴿﴾، هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا  
وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا ﴿﴾ الآية.

عن مجاهد: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ  
كَلِمَتٍ ﴿﴾، قال: أي رب، أتوبُ عليَّ  
إِنْ تُبْتُ؟ قال نعم. فتاب آدم، فتاب  
عليه ربه.

عن قتادة في قوله: ﴿فَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ  
رَبِّهِ كَلِمَتٍ ﴿﴾، قال: هو قوله: ﴿رَبَّنَا  
ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿﴾.

قال ابن زيد: هو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا  
أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ  
مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿﴾.

الطبري: أن الله -جل ثناؤه- لقي آدم  
كلمات، فتلقاهن آدم من ربه فقبلهن  
وعمل بهن، وتاب... فتاب الله عليه  
بقبوله الكلمات التي تلقاهن منه،

<p>وندمه على سالف الذنب منه.</p> <p>والذي يدلّ عليه كتاب الله، أنّ الكلمات التي تلقّاهن آدم من ربه، هنّ الكلمات التي أخبر الله عنه أنه قالها متنصّلاً بـقيلها إلى ربه، معترفاً بذنبه، وهو قوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. ويضيف الطبري أن هذا القول تعريف من الله لجميع المذنبين بطريق التوبة.</p>	
--	--

لا شك أن الأمر يبدو لأول وهلة مربكاً أن يختار الطبري إيراد الخبرين عن مجاهد والحسن رغم التكرار، ومفاد الخبرين أن الكلمات التي تلقّاهما آدم هي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الآية ٢٣ من سورة الأعراف، وفي تفسيره لآية الأعراف يورد خمسة أخبار، يكرّر اثنين في تاريخه. وثمة أمر بارز فيما يتعلق بالخبر الثامن، وهو أول هذه الأخبار، أنه مروى عن الحسن بلا إسناد، وهذا ما حدا بفرانز روزنتال في تعليقه على ترجمة

تاريخ الطبري إلى القول بأن الحسن هنا هو الحسن البصري<sup>(١)</sup>. ولا شك أن هذا ليس بحديث؛ ولذا فإن الطبري على ما يبدو يورد رأي الحسن جنباً إلى جنب مع أول الأحاديث التي يسوقها تأييداً لهذا المعنى.

هناك ثلاث نقاط ذات أهمية خاصة: أولاً: من الواضح أن رأي الحسن هو زيادة اختار الطبري أن يذكرها في تاريخه. الأمر الثاني: أن إعادة ترتيب المعلومات التفسيرية وإيرادها في التاريخ وضع رأي الحسن جنباً إلى جنب مع الخبر المروي عن مجاهد، بخلاف ما ورد في التفسير. كذلك مما تجدر الإشارة إليه أن هناك أربعة أخبار سيقت لتأييد كلام الحسن في التفسير، والذي اختاره الطبري ليذكره في التاريخ هو أولها، ومن الممكن أن يكون الطبري اختار الإسناد الذي ينتهي بمجاهد، وفيه المثنى بن إبراهيم، عن أبي غسان عن أبي زهير عن أحمد بن إسحاق الأحوزي عن أبي أحمد عن سفيان عن قيس عن خصيف، بدلاً من طريق ابن وكيع عن وكيع عن النضر بن عربي. ويبدو أن تفضيله هذا الإسناد أدى إلى هذا الترتيب في ورود الأخبار في التفسير وهو أمر من الأهمية بمكان؛ إذ يختار الطبري أن يورد في تاريخه أول حديث استشهد به

(١) انظر: الطبري، التاريخ، ص ٨٥ (انظر أيضاً: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I,

p. 302, n. 829). وروي هذا الخبر عن آخرين بلا إسناد، ولكن يبدو أن هذا يقتصر على الأخبار

المروية عن أكثر من راوٍ.

في تفسيره في هذا الموضوع<sup>(١)</sup>. كذلك فإن تاريخ الطبري يورد الخبر الرابع (عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، عن المنهال بن عمر عن أبي ليلى عن قيس عن ابن عطية) ويغفل الخبر الخامس، إذ هو نسخة في محتواه من الرابع بإسناد ينتهي بابن عباس عن طريق سعيد بن جبير عن عاصم بن كليب عن قيس بن الربيع عن محمد بن مصعب. ويختار الطبري الاستشهاد بخبر قتادة في أن الله قَبِلَ أن يُرْجِعَ آدمَ إلى الجنة إن تاب، بدلاً من خبر آخر قريب جداً يرويهِ ابن عباس، ويأتي خبر قتادة بعد رأي الحسن الذي ذهب فيه إلى أن الكلمات هي: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وتوحي هذه الأمثلة الثلاثة بوجود علامات بحُمرَة وضعها الطبري على أطراف تفسيره بدلاً من تفضيلٍ يقتضيه الفن لراوٍ أو مجموعة من الأسانيد على ما عداها رغم أن هذا الافتراض الأخير ليس بمستبعد هو الآخر.

ليس من اليسير بيان السبب في إسقاط بعض المواد التفسيرية الأخرى من كتاب التاريخ. فعلى سبيل المثال إذا نظرنا للخبر السادس عشر والثامن عشر والعشرين وجدناها تسوق كلمات أخرى للتوبة، وكان من الممكن إيراد هذه الأخبار في التاريخ دون أن يكون هناك تكرار للمادة المذكورة في الأخبار الموجودة. أمّا الأخبار من العاشر حتى الخامس عشر فتشير السؤال حول معصية

(١) الروايات الأخرى لهذا الحديث، المذكورة في التفسير ولا ترد في التاريخ، منسوبة إلى ابن زيد وفتادة.



آدم، هل هي شيء كتبه الله عليه؟ ومع ذلك يمكن القول: إن الطبري في مقدمته للرواية التاريخية يصرّح بأن الذنب قد جرى به القلم؛ ولذا ترد هنا عبارة تحريرية شاملة لتزيل الغموض الذي ترتّب على إيراد حديثٍ متعدّد الأغراض في التفسير.

ومع ذلك هناك أمر أكثر أهمية يتجسّد في حقيقة أن الطبري عندما أراد أن يختم الحديث في مسألة الهبوط إلى الأرض، وقبل أن يسوق إشارات إلى توبة آدم والكلمات التي تلقاها من ربّه يتعرّض لعدد من القضايا، منها: أهمية الجمعة في حياة آدم، والجمعة التي أُخرج فيها آدم وحواء من الجنة، ونقص طول آدم بعد أن أُهبط إلى الأرض، وطواف آدم بالبيت وقضاء المناسك كلّها، والأشياء التي أخذها آدم من الجنة وهبط بها إلى الأرض أو التي أنزلها الله له بعدُ (ومنها البيت الحرام الذي أُهبط له إلى الأرض)؛ لذا فإنّ قصتي التوبة بينهما تداخل، إلّا أنّ الرواية الواردة في التاريخ تَفصّل بين الهبوط وبين ذكر كلمات التوبة والأحداث التي تقع تباعاً في القرآن؛ ولذا يظهر هذا إلى حدّ كبير في تفسير الطبري أيضاً. ولا يمكن التغاضي ببساطة عن الفجوة في أحداث الرواية التي نشأت بين هذين الحَدَثَيْن نتيجة وضع مادة التوبة في جزء منفصل بعيد إلى حدّ ما في سياق القصة المذكورة في تاريخ الطبري.

الجدول ٨: المادة الواردة في تاريخ الطبري حول آدم بعد قصة الهبوط إلى الأرض	
القسم الفرعي الأول.	أهمية يوم الجمعة في حياة آدم بوجه عام.
القسم الفرعي الثاني.	يوم الجمعة الذي أهبط فيه آدم إلى الأرض.
القسم الفرعي الثالث.	المكان الذي أهبط إليه آدم وحواء.
القسم الفرعي الرابع.	نقصان طول آدم على الأرض.
القسم الفرعي الخامس.	طواف آدم وقضاء المناسك كلها.
القسم الفرعي السادس.	ذكر الأشياء التي أخذها آدم معه من الجنة أو التي أنزلها الله له (ومنها البيت الحرام).
القسم الفرعي السابع.	توبة آدم والكلمات التي تلقاها من ربه.
القسم الفرعي الثامن.	أرسل الله إليهما ملكًا يعلمهما ما يلبسانه ويستتران به.
القسم الفرعي التاسع.	العهد الذي أخذه الله من ذرية آدم في عالم الذر.
القسم الفرعي العاشر.	قائيل وهابيل.

لذا على سبيل المثال في سياق الأخبار التي تتحدث عن صورة آدم (ونقصان طوله حين أهبط إلى الأرض)، هناك مجموعة مؤلفة من قصتين يمكن قراءتهما معًا لإظهار موقف الله من التغير الذي واجهه آدم في الظروف المعيشية

قبل إعلان توبته: خبر ورد أيضًا في تفسير الطبري لآية: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]<sup>(١)</sup> (فقد أعطى الله لآدم هذا البيت ليعوّضه عن سماع صوت الملائكة في الدعاء)، علاوة على قصة أخرى لا ترد في التفسير، وفيها أنّ آدم شكى إلى الله حاله بعد ما كان من هبوطه إلى الأرض، فأجابه الله أنّ هذا جزاء معصيته، ثم علّمه الله كيف ينسج لنفسه ولحواء ثوبًا، وأمره بالحجّ<sup>(٢)</sup>. ويأتي في المقطع التالي ذكر للأشياء التي أخذها آدم من الجنة، وفيه أخبار تبينّ عون الله أو الملائكة لآدم حين انتقل للعيش على الأرض. وجاء في خبر عن ابن عباس أنّ آدم حين خرج من الجنة كان لا يمرّ بشيء إلا عبث به، فقبل للملائكة: دَعُوهُ فليتزود منها ما شاء<sup>(٣)</sup>، وعن الأشعري قال: إنّ الله -تبارك وتعالى- لما أخرج آدم من الجنة زوّده من ثمار الجنة وعلّمه صنعة كلّ شيء<sup>(٤)</sup>. وقيل: إنّ من الثمار التي زوّدها الله لآدم حين أهبط إلى الأرض

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٠. Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 293.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٠-٨١. Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 293-294.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨١-٨٢. Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 296.

(٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٢. Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 297.

ثلاثين نوعاً<sup>(١)</sup>. يمكن أن نلاحظ (قبول) الهبوط إلى الأرض حتى قبل توبة آدم، ويتفق هذا مع ما أورده الطبري في افتتاح الكلام من أن هذا كان أمراً قدره الله وكتبه على آدم، إذ أراد أن يتليهما ويُجرِي حكمه فيهما وفي ذريتهما، وإدراك القارئ أن الله هو المهيمن على الأحداث يبلغ ذروته بإيراد نماذج لأخبار يُعدُّ الله فيها آدم لتبعات الهبوط إلى الأرض، كذلك فإنَّ العبارة الافتتاحية تبين سبب إيراد هذه النماذج.

ومع ذلك، ثمة أمر يلقي بظلاله على هذه الآثار التي تبين فضل الله، ألا وهو معرفة القارئ أن آدم أُخرج من الجنة ليعيش حياة حافلة بالشقاء كما صرح القرآن في سورة طه، الآية ١١٧: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾. ويسوق الطبري خبراً لا يذكر راويه من أن الحنطة جاء بها جبريل عليه السلام بعد أن جاع آدم واستطعم ربّه، فعلمه كيف يصنع الخبز<sup>(٢)</sup>، ثم يسوق الخبر الخامس من ثلاثة عشر خبراً أوردها في تفسيره للنصف الأول من الآية الثانية والعشرين من سورة الأعراف من أن إبليس دلاًهما بغرور، فلما أكلا منها بدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، فانطلق

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٣. (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 298).

(٢) نفسه.

آدم موليًّا في الجنة فناداه الله، وأن آدم قال: ما حسبتُ أن أحدًا يحلف بك كاذبًا، فأهبطهما الله إلى الأرض فلا ينالان العيش إلا كدًّا وعَلْمَ آدم صنعة الحديد والحرث<sup>(١)</sup>. ويسوق الطبري أيضًا خبراً أورده كذلك في تفسيره للآية ١١٧ من سورة طه جاء فيه: أنه أهبط إلى آدم ثور أحمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه، فهو الذي قال الله - عز وجل -: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ فكان ذلك شقاءه<sup>(٢)</sup>، ثم يلي ذلك عبارة المؤلف: ولو كان جبرئيل أتاه بالغذاء الذي يصل إليه ببذره دون سائر المؤمن غيره لم يكن هناك من الشقاء الذي توعدّه به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبيرٌ حَطْبٍ<sup>(٣)</sup>. ومع ذلك فإن أثر هذه الظلال يكاد يتلاشى حين نعلم أن الفاكهة التي أهبطت إلى آدم أو سُمح له بأخذها معه هي بصورة أو أخرى طعام وَهَبَهُ اللهُ له ليأكله. وبهذه الصورة تُشكّل الأخبار المذكورة أعلاه طريقًا وسطًا بين واقع قاسٍ لحياة الحرث وبين الانطباع الذي تخلقه القصة عبر صفحات التاريخ عن عونٍ ومددٍ إلهي.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٣. (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 299) عن ابن عباس.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٣. (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 299-300) عن سعيد.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٤. (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 300).

بعد ذلك يبيّن الطبري للقارئ -بعبارة- أن آدم استوحش حين هبط إلى الأرض وقد كلام أهل السماء وغابت عنه أصوات الملائكة<sup>(١)</sup>. ويسوق خبراً عن وهب يقول: إن آدم لما أهبط إلى الأرض فرأى سعتها ولم يرَ فيها أحداً غيره، قال: يا رب، أما لأرضك هذه عامر يسبح بحمدك ويقدّس لك غيري؟ قال الله: إني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدّسني، وسأجعل فيها بيوتاً ترفع لذكري ويسبح فيها خلقي<sup>(٢)</sup>. ويختم الطبري هذا الجزء بخبر عن أبان، فيه وصف البيت الحرام، وقد ذكره الطبري في تفسيره للآية ١٢٧ من سورة البقرة<sup>(٣)</sup>؛ ولذا تنتقل القصة إلى الحديث عن الأمة الإسلامية التي تأتي في المستقبل، باعتبار آدم هو أبو البشرية لا مجرد خلق خلقه الله وأسكنه جنته. وتبقى هذه الإشارة إلى المستقبل نموذجاً لفضل الله الذي لا نظير له كما نرى في تفسير الطبري لقوله: ﴿فَأَمَّا يَا تَيْنَكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٣٨]، في خطاب لآدم وحواء وإبليس يبيّن مصير الذرية

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٤ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 300-301).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٤ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 301).

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٤-٨٥ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, pp. 301-302).

المؤمنه. ومع ذلك يظل هناك اختلافٌ كبيرٌ؛ فالقرآن (وبالتالي التفسير) ينتقل إلى خطاب بني إسرائيل<sup>(١)</sup>، في حين أن تاريخ الطبري يواصل الحديث عن آدم. وعند هذا الحدّ من الرواية التاريخية يأتي المقطع الذي يفصل القول في قضية التوبة وما فيها من أخبار، ثم يعقبه مقطع فرعي آخر يتحدث عن الحجر الأسود ويسوق عددًا من الأخبار، منها ما يرويهِ ابن عباس أن آدم أنزل معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة، ولم يأكلًا ولم يشربًا أربعين يومًا ثم أكلا وشربا وهما يومئذ على (بوذ) الجبل الذي أهبط عليه آدم، ولم يقرب حواء مائة سنة<sup>(٢)</sup>. وروى ابن عباس أيضًا أن الحجر كان ياقوتة بيضاء خرج بها آدم من الجنة وكان يمسح بها دموعه، وأن آدم لم ترقأ دموعه منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفي سنة<sup>(٣)</sup>.

(١) سورة البقرة، الآية ٤٠ وما بعدها.

(٢) انظر: الطبري، التاريخ، ص ٧٩ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 291). من المحتمل إذا نظرنا إلى القصة على أنها وحدة كلية مترابطة، ندرك أن ابن عباس لا يقصد أن آدم وحواء بكيا وصامتا عن الطعام والشراب كل بمعزل عن الآخر، بل المراد كما في خبر ابن عباس السابق أن آدم انطلق من فوره بحثًا عن حواء حين أهبط إلى الأرض، لكنه لم يقربها بعد أن وجدها لمئات السنين. ويذكر ابن كثير (ت: ٧٧٤/١٣٧٣) خبراً ينص صراحة على هذا الكلام، ويسوق حديثاً (محلّ تساؤل) عند تأويل الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة. لمزيد من المعلومات عن ابن كثير انظر المراجع المذكورة في الهامش رقم ٢، ص ٩٧.

(٣) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٥ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 303).

وأرسل الله إليهما ملكًا يعلمهما ما يلبسانه ويستتران به، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن (هذا كلام الطبري، ثم يسوق رأيًا آخر فيقول: وقال بعضهم: إنما كان ذلك لباس أولادهما)<sup>(١)</sup>. وهذا الكلام يقود الرواية إلى الحديث عن الميثاق الذي أخذه الله من بني آدم وقصة قابيل وهابيل<sup>(٢)</sup>، وبهذا يُختم الحديث عن الهبوط إلى الأرض.

وثمة مادة يوردها الطبري في تاريخه تتوسّط الحديث بين قبول الله لحال آدم التي تغيّرت وبين كلمات التوبة التي تركّز في هذا السياق على الوعد بالعودة إلى الجنة، وليس العودة إلى نعيم الله. وينفرد التفسير في الحديث عن أخبار التوبة التي يبكي فيها آدم على ذنبه. وفي مطلع كلامه في تفسير الآية الثالثة والعشرين من سورة الأعراف، يقول الطبري: قال آدم وحواء لربهما: يا ربنا، فعلنا بأنفسنا من الإساءة إليها بمعصيتك وخلاف أمرك... وإن لم تغفر لنا لنكونن من الخاسرين. وفي تفسير الآية ١٢٢ من سورة طه، يقول الطبري: اصطفاه ربّه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وتلك كانت توبته التي تابها عليه. نلاحظ هنا اختلافًا بارزًا بين العملين؛

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٥-٨٦، Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, (pp. 303-304).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٦-٨٧، Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, (pp. 304-307).



ففي تاريخ الطبري ترد نماذج واضحة أن آدم أطاع الله وأرضاه وأن الله قد شمله بعنايته قبل توبته، وعندئذ من الضروري أن نُعيد النظر في المادة التي أُسقطت في تأويل الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة وفهمها في هذا الإطار، وفيها الحديث عن استغفار آدم وإقراره بذنبه، (قوله: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنك خير الغافرين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الرحامين، اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، ربّ إني ظلمت نفسي فتُبّ عليّ إنك أنت التواب الرحيم، وكذلك قول آدم: أي رب، أتتوب عليّ إن تبتُّ؟). كذلك تجدر الإشارة إلى أنه رغم حرص الطبري على التأكيد على أن العطايا التي أنعم الله بها على آدم وما يتعلّق بالحرث هي جزء من هذا الشقاء الموعود، إلّا أن هذا لا يؤثر سلبيّاً في تصوّر القارئ للعلاقة الوثيقة بين الله ونبّيه التي استمرت لفترة طويلة قبل توبته. وكلام الطبري في مطلع قصة الهبوط من أن هذا أمر قد كتبه الله وجرى به القلم يزيد هذا التصوّر رسوخاً.

مع تقدّم أحداث الرواية التاريخية نشهد مزيداً من توغل العالم الخارجي في حياة آدم: أولاً بيان كيفية صناعة الخبز، وصناعة الأدوات ونحو ذلك، ثم وصف للعبادات التي تظهر في المستقبل البعيد، ثم كلمات آدم التي تاب بها، والإشارة إلى سنوات الندم الطويلة، ثم عادة آدم وحواء أو ذريتهما في الملابس،

والميثاق الذي أخذه الله من بني آدم، ومسألة قابيل وهايل<sup>(١)</sup>. وفي وسط هذا كله تصبح توبة آدم مسألة متعلّقة بهذا العالم، ومسألة عودته إلى الجنة لا تختلف عن مصير كل الطائعين في المستقبل، بل إنّ نموذج آدم في التوبة هو مثال لخلاص كل العصاة، وليس مجرد وصف لحدث وقع في سياق الهبوط إلى الأرض، فالعبرة هنا للحياة على الأرض لا الظروف الخاصّة التي مرّ بها آدم في أول أمره.

وتتجلى أقرب مادة مناظرة في تفسير الطبري في تأويله للآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة حيث ترد الإشارة الصريحة إلى المجتمع اللاحق، وتنبية المخاطبين إلى طريق التوبة، وأنّ خلاصهم مما هم عليه مقيمون من الضلالة، نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته كما جاء في الآية الثالثة والعشرين من سورة الأعراف<sup>(٢)</sup>:

وهذا الخبر الذي أخبر الله عن آدم - من قبله الذي لقاه إياه فقال له تائباً إليه من خطيئته - تعريفٌ منه - جلّ ذكره - جميع المخاطبين بكتابه كيفية التوبة إليه من الذنوب، وتنبية للمخاطبين بقوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [سورة البقرة: ٢٨]، على موضع التوبة مما هم عليه من الكفر بالله، وأن

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٨-٩٢، (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, ) (pp. 307-317).

(٢) الترجمة الإنجليزية مأخوذة من ترجمة كوبر لتفسير الطبري، ص ٢٦٥.

خلاصهم مما هم عليه مقيمون من الضلالة، نظير خلاص أبيهم آدم من خطيئته، مع تذكيره إياهم بنعمه السالفة التي خصّ بها أباهم آدم وغيره من آبائهم. ومن الأهمية بمكان هنا أن نذكر ما أورده أنجيليكا نويبرت<sup>(١)</sup> في تقييمها للمادة القرآنية للخلق ككلّ في هذا السياق؛ إذ ترى أن<sup>(٢)</sup>: الأخبار الكونية في غاية

(١) أنجيليكا نويبرت (١٩٤٣-) من أشهر الباحثين الألمان والأوروبيين المعاصرين في الدراسات القرآنية والإسلامية.

أستاذ الدراسات السامية والعربية في جامعة برلين الحرّة، درست الدراسات السامية والعربية والفيلولوجي في جامعات: برلين وميونخ وطهران، عملت كأستاذ ومحاضر في عدد من الجامعات، مثل: برلين وميونخ وبامبرغ، كما عملت كأستاذة زائرة في بعض الجامعات، مثل: جامعة عمّان بالأردن، وجامعة عين شمس بالقاهرة.

أشرفت على عدد من المشاريع العلميّة، منها: مشروع (كوربس كورانيكوم) منذ ٢٠٠٧ إلى ٢٠١٠.

ولها عدد من الكتابات والدراسات المهمة في مجال القرآن ودراساته. من أهمها:

*Der Koran als Text der Spätantike: Ein europäischer Zugang, 2010*

القرآن كنصّ من العصور القديمة المتأخرة، مقارنة أوروبية.

وقد ترجم للإنجليزية هذا العام فصدر بعنوان:

*The Qur'an and Late Antiquity: A Shared Heritage, 2019*

*Studien zur Komposition der mekkanischen Suren, 1981*

دراسات حول تركيب السور المكية.

*Scripture, Poetry, and the Making of a Community: Reading the Qur'an as a Literary Text, 2014*

النصّ المقدس، الشعر، وصناعة المجتمع: قراءة القرآن كنصّ أدبي.

وهو مجموعة من دراساتها المترجمة للإنجليزية. (قسم الترجمات).

(٢) انظر: Neuwirth, 'Negotiating Justice', Part II, p. 16. انظر كذلك ما كتبه كلار تحت عنوان:

"Through the Lens of the Adam Narrative" للوقوف على تهذيب لهذا التقييم للمادة القرآنية.

الأهمية؛ ليس لأنها بداية تسلسل مثير في الأحداث بدايةً من الخلق إلى الخلاص من الخطيئة، وإنما لأنها قصص تأسيسية لنموذج ثابت لا يتغير أبداً من التفاعل بين الإله والبشر.

ومبدئياً يمكن اعتبار هذا مؤشراً على إمكانية توظيف قراءة الطبري للموقف على النحو الذي ورد في تفسيره، (من أن كلمات التوبة التي تلقاها آدم من الممكن أن تكون وسيلة الخلاص لكل العصاة)، لتكون مبدأً توجيهياً في بناء الرواية التاريخية بكل تلك المرونة التي يقتضيها هذا الفن، والتي أدت إلى وجود فجوة مادية بين المادة التي تتناول هبوط آدم إلى الأرض وأخبار التوبة. ومع ذلك فإن التركيز على التوبة من الكفر لا المعصية لا وجود له من الأساس في السرد التاريخي. بل إن الطبري يروي عن ابن عباس أن الله قال لآدم: فهناك أستجيبُ لك ولولئك مَنْ كان منهم في طاعتي<sup>(١)</sup>. ومن خلال ختام الرواية التاريخية لتوبة آدم وهبوطه إلى الأرض بالحديث عن الميثاق الذي أخذه الله من ذريته وانقسام الناس إلى أصحاب اليمين وأصحاب الشمال<sup>(٢)</sup> يعزز الطبري انطباعاً سائداً بأن التركيز ينصبّ في كتاب التاريخ على مجتمع المؤمنين في هذا العالم.

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨١ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 294).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٨٧ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 307) عن

السدي، ونحوه في تفسير الطبري للآية ١٧٢ من سورة الأعراف عن ابن عباس.

### ٣- تعليقات تحريرية:

في الوقت الذي ينبغي النظر فيه إلى صوت الطبري على أنه تنمة لما يسوقه من أخبار وليس عنصراً مستقلاً بذاته؛ (إذ يصرّح أنه لا حاجة به إلى إعادة ما ورد في هذه المصادر، والكلام هنا عن العداوة بين الإنسان والحيّة في الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة)، نجد أنه يفتح كلّ مقطع ويختمه بعبارة له تلخّص أو تعلق على الأخبار التي ساقها. ويمكن أن تجسد هذه المادة ما يرى فيه الطبري أهمية خاصّة في الرواية السابقة أو اللاحقة، وبالتالي يسلط الضوء على الإستراتيجيات التي يوظّفها في كلّ من التفسير والتاريخ في اختيار المادة وعرضها.

هناك عدد من الأساليب والتقنيات التي لها أهمية مباشرة، أوّلاً: الأخبار الواردة في التفسير تشمل جميعها على إشارة إلى إبليس / الشيطان، الذي يشكّل محور اهتمام الطبري في الملاحظات التي يسوقها في التفسير أكثر منه في التاريخ؛ لذا فإن الطبري يذكر إبليس / الشيطان في بداية كلامه في تأويل المقاطع القرآنية الثلاثة. وفي سياق تأويله للآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة نجد يقول: وفي هذه الآية دلالة واضحة على صحّة قول من قال: إن إبليس أُخرج من الجنة بعد الاستكبار عن السجود لآدم، وأسكنها آدم قبل أن يهبط إبليس إلى الأرض. ثم بيّن أن إبليس إنما أزلهما عن طاعة الله بعد أن لعن وأظهر التكبر؛ لأن سجود الملائكة لآدم كان بعد أن نفخ فيه الروح، وحينئذٍ كان امتناع إبليس

من السجود له، وعند الامتناع من ذلك حلت عليه اللعنة. وفي تأويل قوله: ﴿وَيَتَادَمُ أَسْكَنُ أَنْتَ وَزَوْجَكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، يفتح الطبري الكلام بعبارة جاء فيها: فَأَسْكَنَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ - آدمَ وزوجته الجنة بعد أن أهبط منها إبليس وأخرجه منها. ونجده في تأويل الآية ١٢٠ من سورة طه: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾، يبيّن للقارئ أنّ الشيطان ألقى إلى آدم وحدثه، قال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمُتْ، وملكت مُلْكًا لا ينقضي فيبلى؟ أمّا في سياق التاريخ فإبليس/ الشيطان يرد فقط في تعليق الطبري على الأحداث في سياق تزيينه لآدم وحواء<sup>(١)</sup> الأكل من الشجرة ومعصية الله، وطرده مع آدم وحواء والحياة<sup>(٢)</sup>؛ ولا يتم عرض هذه المعلومات في أيّ من التعليقات التي يسوقها المؤلف في التاريخ على أنها محلّ اهتمام الطبري ومحور كلامه في كلتا العبارتين.

ونجد الطبري في تفسيره يكرّر ما ذكره من قبل من امتناع إبليس عن السجود لآدم في أوّل خلقه؛ ولذا فإن تفسير الآية الخامسة والثلاثين من سورة

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٧١ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 275).

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٧٤ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 281).

البقرة الذي أورده الطبري وكذلك ملاحظاته الختامية في تأويل قوله: ﴿أَهْبِطُوا

بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من الآية السادسة والثلاثين، ثم المقدمة التي ساقها في

تأويل الآية الثانية والعشرين من سورة الأعراف: ﴿وَأَدْبَهُمَا رَهْمًا ثُمَّ أَنَّهِنَّ كَمَاعَن

تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ وَأَقْلَ لَكُمْ إِنْ الشَّيْطَانُ لَكُمْ أَعْدُوٌّ مُبِينٌ﴾، لا يرد كل هذا في تعليقه على

الأحداث في كتاب التاريخ. ويكرّر الطبري في تفسيره الحديث عن دور إبليس في

إخراج آدم وحواء وهبوطهما إلى الأرض؛ ومن الأمثلة على ذلك: ما ساقه

الطبري في تفسير الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة إذ يقول: فأخرج

الشیطان آدم وزوجته ﴿مِمَّا كَانَا﴾، يعني: مما كان فيه آدم وزوجته من رغد

العيش في الجنة، وسعة نعيمها الذي كانا فيه. أمّا تاريخ الطبري فاكتفى فيه

بقوله: فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى نكد عيش أهل الأرض<sup>(١)</sup>.

وإذا أضفنا إلى هذا ما ذكرناه من قبل من أن الطبري يصرّح في التاريخ دون

التفسير أن هذه الأحداث التي وقعت وانتهت بهبوط آدم إلى الأرض هي شيء

قدّره الله وجرى به القلم من قبل<sup>(٢)</sup>، فعندها يمكن اعتبار هذا الأمر نوعاً من

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٧١ (Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 275).

(٢) يرد هذا في تفسير الطبري من خلال الخبر الرابع عشر (عن قتادة) في تأويل الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة. والابتلاء الذي قدّر على آدم وذريته، وكذلك الخبر العاشر (عن السدي) والأخبار من

الموازنة للدور الأبرز لإبليس أو الشيطان الذي يركّز عليه الطبري في تفسيره: فحين نخبر القارئ أن إبليس أبى أن يسجد لآدم فإن القارئ سرعان ما يتنبه و ينتظر معرفة ما جرى بعد ذلك، فيأتي الطبري ليصرّح بأن هذه الأحداث هي شيء قد كتبه الله. ومرة أخرى، هذا دليل على الشكل السردى والأسلوب القصصي المطوّل، وهو من خصائص التاريخ: ففي المقاطع القرآنية الواردة في سورتي البقرة والأعراف، ترد قصة رفض إبليس السجود لآدم ثم إغوائه آدم وحواء متعاقبتين<sup>(١)</sup>، أمّا في التاريخ فيتخللهما الحديث عن تعليم الله الأسماء لآدم<sup>(٢)</sup>، مع إشارة عابرة إلى طرد إبليس قبل المضيّ قدماً في سرد بقية أحداث القصة<sup>(٣)</sup>. وللتعويض عن الفجوة في جانب من جوانب القصة يُقال للقارئ: إن هذه الأحداث قد كتبها الله من قبل.

الحادي عشر إلى الخامس عشر (عبيد بن عمير) في تأويل الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة حيث يسأل آدم ربّه: خطيئتي التي أخطأتها، شيء كتبه عليّ؟

(١) لذا فإنّ رفض إبليس السجود لآدم يرد في الآية الرابعة والثلاثين من سورة البقرة قبل الحديث عن الهبوط في الآيات الخامسة والثلاثين إلى الثامنة والثلاثين، وكذلك في سورة الأعراف في الآيات الحادية عشرة إلى الثامنة عشرة قبل الحديث عن الهبوط في الآيات ١٩-٢٥.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٦-٦٩، Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, (pp. 266-272).

(٣) كلام للطبري. انظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ص ٦٩ Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 272.



ثمة جانب آخر يبرز عند إنعام النظر في أسلوب الطبري في تاريخه، يتمثل في تسليط الضوء في المقابل على دور الله المحوري في الأحداث التي تقع؛ إذ يتلى الله آدم بعد أن يعصيه رغم كل النعم التي أسبغها عليه، فينقله من رغد العيش إلى حياة الشقاء والكُدِّ؛ ونهي الله لآدم وحواء أن يأكلا من ثمار شجرة واحدة حتى ينفذ قضاؤه عليهما وعلى ذريتهما؛ وتزيين الشيطان لهما الأكل من الشجرة؛ وظهور سواتهما. وبعد أن يزلهما الشيطان يُخرج الله آدم وحواء من الجنة ليهبطا إلى الأرض مع إبليس والحية ويتخذوا بعضهم بعضاً عدواً. وثمة مادة تتخلل هذه الأحداث يعرف فيها القارئ أن الله هو مَنْ خلق آدم وأخرجه من الجنة وأهبطه إلى الأرض وتاب عليه وعلمه صنع الخبز وأرسله إلى البيت الحرام بعد أن شكى الوحشة، ثم بعد التوبة يأخذ الله من ذرية آدم الميثاق مصداقاً لما جاء في الآية ١٧٢ من سورة الأعراف.

كذلك في التفسير يبرز هذا الدور في عبارات الطبري، فإن الله ينهى آدم وحواء عن شجرة بعينها كما في تأويل الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة، وهو الفاعل الحقيقي، فهو المُخرج لهما وهو من أهبطهما، وهو من ألقى كلمات التوبة لآدم وتاب عليه كما في الآية السابعة والثلاثين، وهو من أسكن آدم وحواء الجنة، ونهاهما أن يقربا ثمر شجرة بعينها حتى لا يكونا ممن خالف أمر ربه وفعل ما ليس له فعله، كما جاء في تأويل الآية التاسعة عشرة من سورة الأعراف، وهو الذي ستر عورتها كما تشير الآية الثانية والعشرون من نفس

السورة، ثم ما فعله بالشخصيات الأربع أبطال هذه القصة كما جاء في تفسير الآية الرابعة والعشرين، وهو من عصي بوسوسةٍ من إبليس كما في تأويل الآية ١٢١ من سورة طه، ثم اجتبى آدم مرة أخرى مصداقًا للآية ١٢٢، ثم كشف لهم عن مصيرهم مرة أخرى كما في الآية ١٢٣. ومع ذلك فإن دور (الله) الذي ورد في التعليقات التفسيرية المترابطة يأتي جنبًا إلى جنب مع دور (إبليس / الشيطان)، وهنا يشكّل (الله) جانبًا من جوانب المادة المذكورة كلها؛ ولذا يتمّ إخبار القارئ أنّ إبليس قد باشر خطاب آدم وحواء بنفسه؛ إمّا ظاهرًا لأعينهما، وإمّا مُستجِنًا في غيره، وأنه استزلّهما وأخرجهما من رغد العيش في الجنة وسعة نعيمها الذي كانا فيه، وأن الله إنما أضاف إخراجهما من الجنة إلى الشيطان - وإن كان الله هو المُخرج لهما - لأن خروجهما منها كان عن سببٍ من الشيطان؛ فأضيف ذلك إليه لتسبيبه إياه. وأن إبليس هو من تسبب في معصية آدم وحواء بدافعٍ من الغيرة من آدم وذريته، فبعد أن طرد الله إبليس أسكن آدم وحواء الجنة، وهناك دلّاهما الشيطان بغرور ليبيدي لهما ما ووري عنهما من سواتهما ويزيل عنهما ستر الله لهما، فناداهما ربهما: ألم أنهما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبین؟ تذكيرًا لهما بأن العداوة أضحّت ظاهرة حين أوى السجود لآدم. ثم خلص الشيطان إلى آدم فقال له: يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلد ومُلْكٍ لا يبلى؟ ولكنّ أبرز موضع تتجلى فيه هذه الظاهرة (ظاهرة التقابل في الشخصيات) حين يُوجّه الخطاب لقارئ التفسير بأن آدم وحواء أكلا

من الشجرة المحرّمة وأطاعا إبليس وعصيا الله، مما يضع كلّ شخصية من أبطال القصة في الجانب المقابل للمحور ذاته.

وحين يقتصر التركيز على صوت الطبري يتجلى دور الله المباشر في الأحداث التي تقع في أحد العملين، في حين أنّ إبليس أو العناصر الدقيقة في أحداث قصة الهبوط إلى الأرض تصبح ذات أهمية ثانوية. ومع ذلك، فكما لاحظنا أعلاه في القسم الأول إذا نظرنا إلى المادة المذكورة يظلّ إبليس محورَ الاهتمام الأساسي أو الثانوي في تسعة أخبار من عشرة وردت في الجزء الأول من الرواية التاريخية، ويأتي ذكره في الأخبار الثلاثة كلها الواردة في الجزء الثاني من هذا المقطع. ويسلط هذا الأمر الضوء على التقابل بين عبارة المؤلف في العملين لكنه يشير في الوقت ذاته أسئلة حول اختيار الطبري في تأويل الآية السادسة والثلاثين فيما يخصّ مجمل أحداث القصة التاريخية اللاحقة والإسقاط المقابل للمادة في شرح المقطعين القرآنيين الآخرين.

#### ٤- الترابط الداخلي في التفسير:

رأينا أن الطبري يستند إلى نواحٍ عدة من تفسيره - ما يتعلّق منها مباشرة بقصة الهبوط وما لا يتعلّق - لبناء قصته التاريخية، ويبقى أن نحدّد مدى اشتغال كلّ مقطع من المقاطع التفسيرية ذات الصلة المباشرة على منطق داخلي أو تحديد للخصائص في آحاد السور؛ إذ إننا لا نتحدّث عن خط سردي واحد في التفسير، وإنما ثلاثة خطوط: تفسير الطبري لسورة البقرة، وتفسيره لسورة الأعراف، علاوة على سورة طه. وقد حاول ويتني بودمان<sup>(١)</sup> تحديد خصائص المقاطع القرآنية التي تتحدّث عن إبليس وفق السور الخاصّة بها، فقال في معرض حديثه عن سورتي البقرة والأعراف<sup>(٢)</sup>:

في سورة الأعراف ترسي قصة إبليس أساساً لقصة طويلة تتحدّث عن الجنة ومحورها الشيطان ومكره، في حين أن الحديث في سورة البقرة لا يتمحور حول إبليس أو الشيطان. ولا يتم توجيه نظر القارئ لوجود شخصيات شريرة ومغوين، وإنما التركيز على ضعف النفس البشرية، فالحديث هنا عن شخصية الإنسان.

(١) تُحيل الكاتبة هنا إلى كتاب بودمان: (شعرية إبليس)، والكتاب مترجم إلى العربية، ترجمه: رفعت السيد عليّ، وصدر عن منشورات الجمل، بيروت - بغداد، في ٢٠١٧. (قسم الترجمات).

(٢) انظر: Bodman, The Poetics of Iblis, p. 234.

وفي حديثه عن سورة طه، يرى أن الأحداث تؤكد على إرادة الله واختياره وعنايته بالضعيف<sup>(١)</sup>.

تشتمل الأخبار الواردة في تفسير الطبري على عرضٍ يكاد يكون شاملاً للموضوعات المتعلقة بالهبوط إلى الأرض والتوبة في تفسير سورة البقرة، ومع ذلك هناك بعض المواضع التي أسقطت من هذا الشمول؛ لذا على سبيل المثال، فإنّ الطبري في تفسيره لسورة الأعراف يكرّر عبارة قتادة التي تشير إلى أن إبليس في سعيه لإقناع آدم بالأكل من الشجرة يستغلّ سابق معرفته وتفوّقه في هذه المعرفة، إذ قال لهما: إني خُلِقْتُ قبلكما وأنا أعلمُ منكما. وعبارة الطبري التي يبين فيها أن آدم عصى ربه بطاعته إبليس (وتكرّر كما سبق أن أوضحنا في الرواية التاريخية) لا ترد إلا في تفسير الطبري لهذه السورة، وكذلك القول بأن آدم كان مختاراً فيما نُهي عنه (ابن عباس). ويأتي تفسير سورة الأعراف ليقارن بوضوح (عن قتادة) بين موقف آدم وإبليس؛ فإنّ آدم سأل التوبة، أمّا إبليس فسأل النظرة. وعند الحديث عن ابتلاء آدم وشقائه في الأرض وعلاج الحرّاة والعمل بالمساحي والزراعة فيها (وقد جاء ذلك في تاريخ الطبري في سياق الحديث عن الأشياء التي أنزلها الله مع آدم) تكون الإشارة إلى سورة الأعراف.

(١) نفس المرجع، ص ٢٣٨.

وفي تفسير سورة طه فإن توبة آدم لم تتحقق بكلمات -محددة على الأقل- وإنما بالأعمال؛ فالطبري يقول للقارئ في تفسير الآية ١٢٢ من سورة طه: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه.

لا شك أن تفسير الجزء الخاص بالهبوط في سورة طه مختصرٌ جداً، وبالتالي يبرز فيه صوت الطبري إلى جانب أربعة أخبار، ثلاثة منها عن السدي. ومن الجدير بالذكر أن الأطراف الأساسية في تفسير الطبري لسورة طه هم: الله، وآدم وحواء، وإبليس/ الشيطان. وهذا ملخص لما جاء في هذا الصدد: كان (إبليس) قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، فوسوس لهما الشيطان فأكل آدم وحواء من الشجرة التي نُهيَا عن الأكل منها، وأطاعا أمر إبليس فبدت سوأتها، فأقبلا يغطيان عليهما بورق التين، ثم اصطفى الله آدم من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه، والعمل بطاعته، ثم أهبط الله آدم وحواء إلى الأرض وأخبرهما أنهما عدو إبليس وذريته.

أما تفسير سورة الأعراف فيسلط الضوء على تفاصيل إضافية للرواية ويبرز دور الحيّة، إلا أنه يركز على دورها في إغواء حواء، لا حمل إبليس. ويمكن تلخيص القصة التي وردت في تفسير الطبري لهذا المقطع على النحو الآتي: قال

لهما إبليس / الشيطان<sup>(١)</sup>: إني خُلِقْتُ قبلكما وأنا أعلمُ منكما، وخدعهما فقال لهما: إنكما إن أكلتما من الشجرة كنتما ملكين أو كنتما من الخالدين. ثم يسوق الطبري المادة القرآنية ليبين أن هذه النهايات جاءت معصيةً لأمر الله، ويُلقى باللوم على حواء في الأكل من الشجرة، وهي بدورها تلوم الحيّة، والحيّة تقول: أمّرني إبليس، لكنّ آدم كان مختارًا فيما أتاه من ذنب، فبدت لهما سواتهما وكان الذي وارى عنهما من سواتيهما أظفارهما أو ستارًا من نور، فأقبلا يغطيان أنفسهما بورق التين، وانطلق آدم هاربًا في الجنة، فعلقت برأسه شجرة من شجر الجنة، فقال لها: أرسليني! قالت: إني غير مرسلتك. فناداه ربه: يا آدم، أمّني تفرُّ؟ قال: ربّ إني استحييتك. ثم يتوب آدم بكلمات وردت في سورة الأعراف في الآية الثالثة والعشرين أو بنسخة مطولة منها. ويسأل ربّه: رأيت إن تبتُ واستغفرتك؟ وفي المقابل نجد إبليس لا يسأل الله التوبة وإنما يسأله النّظرة. ويقول الله لأدم وحواء وإبليس والحيّة: اهبطوا إلى الأرض بعضكم لبعض عدوٌّ. ولعن الله الحية، وقطع قوائمها، وتركها تمشي على بطنها، وجعل رزقها من التراب، ويشدخ رأسها من لقيها، أمّا حواء فتدمى كلّ شهر، وأمّا آدم فيشقى

(١) مرة أخرى يستخدم الطبري اللفظتين بمعنى واحد. ويتجلى هذا بوضوح في استخدام إبليس للحديث عن الشيطان في تأويل الآية الثانية والعشرين من سورة الأعراف.

ويكدّ، وعُلم آدم صنعة الحديد والحرث، وصارت الأرض مستقرّاً وقبراً للإنسان.

وكما نرى في الجدول (٩) فإن عددًا هائلًا من أجزاء الرواية المتصلة بقصة الهبوط تخصّ تفسير الطبري لسورة البقرة: وأن إبليس لمّا سمع آدم يتمنى الخلد أتاه من هذا الطريق، وأن الملائكة منعت إبليس من الدخول إلى الجنة، فلجأ إلى الحيّة وكلمها ووعدّها أن يحميها، ثم خرج من جوف الحيّة ليكلّم آدم وناح عليه وأنه يموت هو وزوجه؛ ليخدعه حتى يأكل من الشجرة. وفي تفسير الطبري لسورة البقرة وحدها تتجلى إستراتيجيات بديلة لجأ إليها إبليس ليغوي آدم (فتمتنع منه حواء حتى يأكل من الشجرة، أو أنه لم يأكل من الشجرة وهو يعقل بل سُقي الخمر) والإشارة إلى أنهما حين أكّلا من الشجرة أحدثا، ترد في هذا الموضوع فقط في التفسير. وتذكر كل هذه الأمور في الرواية التاريخية.

الجدول (٩) يوضح وجود الموضوعات الرئيسة في المواضع الأربعة				
التاريخ	سورة طه	سورة الأعراف	سورة البقرة	الموضوعات الرئيسة
قصة الهبوط.	طه	_____	البقرة	عَلِمَ إبليس أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	سمع إبليس آدم وهو يتمنى الخلد.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	الخزنة تمنع إبليس من دخول



				الجنة.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	الدواب الأخرى ترفض مساعدته.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	يظهر إبليس في صورة الحية.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	إبليس يَعُدُّ الحية بحمايتها.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	إبليس يخرج من الحية حتى يكلم آدم.
الهبوط.	طه	_____	البقرة	إبليس يغريهما بالملك.
الهبوط.	طه	الأعراف	البقرة	إبليس يغريهما بالخلود.
الهبوط.	_____	الأعراف	البقرة	إبليس يغريهما بأن يكونا من الملائكة.
_____	_____	الأعراف	_____	إبليس يقول لهما: إني خُلِقْتُ قبلكما، وأنا أعلم منكما.
الهبوط.	_____	الأعراف <sup>(١)</sup>	البقرة	إبليس يقول لهما: إن الله لا يرضى أن يكونا ملكين أو يكونا من الخالدين.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	إبليس يثني على الشجرة.

(١) يُفهم هذا من كلمات الآية العشرين في سورة الأعراف لكنها لا تتكرر في تفسير هذه الآية.

ترجمات

إبليس ينوح عليهما لأنهما يموتان.	البقرة	_____	_____	الهبوط.
آدم يأبئ في أول الأمر.	البقرة	_____	طه	الهبوط.
إبليس يقنع حواء بالأكل من الشجرة.	البقرة	_____	طه	الهبوط.
الحية تأمر حواء بالأكل من الشجرة.	البقرة	الأعراف	_____	الهبوط.
إبليس يأمر الحية.	البقرة	الأعراف	_____	الهبوط.
الشیطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.	البقرة	_____	_____	_____
الشیطان يحسن حواء في عيني آدم.	البقرة	_____	_____	الهبوط.
حواء تُقنع آدم بالأكل من الشجرة فقد أكلت ولم يضرها.	البقرة	_____	طه	الهبوط.
حواء تسقي آدم خمراً فيأكل من الشجرة.	البقرة	_____	_____	الهبوط.
حواء تطلب من آدم أو تأمره أن يأكل من الشجرة.	البقرة	الأعراف	_____	الهبوط.
آدم يطيع إبليس.	_____	الأعراف	_____	الهبوط.
آدم يعصي الله.	_____	الأعراف	طه	الهبوط، والأشياء التي أنزلت

مع آدم.				
الهبوط، والأشياء.	طه	الأعراف	_____	بدت لهما سواتهما.
الهبوط، والأشياء.	_____	الأعراف	_____	ما وارى عنهما من سواتهما حجاب من نور.
الهبوط، والأشياء.	طه	الأعراف	_____	الذي وارى عنهما سواتهما أظفارهما.
الهبوط.	_____	_____	البقرة	لمّا أكلا من الشجرة أحدثا.
الأشياء.	_____	الأعراف	لا ذكر لهذه الشجرة.	انطلق آدم هاربًا في الجنة، فعلقت برأسه شجرة.
الهبوط، والأشياء.	_____	الأعراف	البقرة	استحيا آدم من ربه.
_____	طه	_____	_____	آدم يتوب ويغفر الله له.
الأشياء.	_____	الأعراف	_____	آدم يتوب بقوله: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].
_____	_____	الأعراف	_____	آدم يتوب بكلمات تزيد عن المذكورة في الآية ٢٣ من سورة

				الأعراف.
_____	_____	_____	البقرة	آدم يتوب بالثناء على الله وحمده.
_____	طه	_____	_____	آدم يتوب بالأفعال.
الأشياء.	_____	_____	البقرة	آدم يسأل الله عن خلقه له.
الأشياء.	_____	الأعراف	البقرة	آدم يسأل الله ماذا إن تاب واستغفر.
_____	_____	الأعراف	_____	آدم فعل ما فعله مختارًا.
الهبوط <sup>(١)</sup> ؟	_____	_____	البقرة	هذا الذنب كتبه الله وجرى به القلم.
_____	_____	_____	البقرة	بيان سبيل التوبة لجميع العصاة.
_____	_____	الأعراف	_____	إبليس يسأل الله النظرة والإمهال.
_____	طه	_____	البقرة	إبليس عدوٌّ لآدم وحواء.
الهبوط.	_____	الأعراف	البقرة	الأعداء هم: إبليس والحية و آدم وحواء.
الهبوط.	_____	الأعراف	البقرة	لعن الله الحية، وقطع قوائمها، ويشدخ رأسها من لقيها.
الهبوط.	_____	الأعراف	البقرة	رزق الحية من التراب.

(١) ضمناً في قوله: «ابتلاء منه لهما بذلك وليمضي قضاء الله فيهما وفي ذريتهما». انظر: تاريخ الطبري،

ص ٧١، وانظر أيضاً: Rosenthal, The History of al-Ṭabarī. Vol. I, p. 275.

تمشي الحيّة على بطنها.	البقرة	_____	_____	الهبوط.
لُعنت حواء فتُدْمى بالحيض.	البقرة	الأعراف	_____	الهبوط.
حواء لا تحمل إلاّ كرهاً، ولا تضع إلاّ كرهاً.	البقرة	الأعراف	_____	الهبوط.
رنت حواء فقليل لها: الرنة عليك.	البقرة	_____	_____	الهبوط.
آدم لا ينال العيش إلاّ كذاً.	_____	الأعراف	_____	الأشياء.
عُلم آدم صنعة الحديد، وأُمر بالحرث.	_____	الأعراف	_____	الأشياء.
لُعنت الأرض.	البقرة	_____	_____	الهبوط.
صارت الأرض مستقرّاً وقبراً.	البقرة	الأعراف	_____	_____

تجدر الإشارة إلى أن الموضوعات التي لا ترد في الرواية التاريخية هي تلك التي تختص برواية تفسيرية معينة؛ لذا فإن ما يختص بتفسير سورة الأعراف ما احتجّ به إبليس من أنه خلق قبلهما وأعلمُ منهما فينبغي لآدم أن يسمع نصيحته؛ وأن ما وارى عنهما من سواتهما ليس أظفارهما وإنما ستار من نور؛ وسؤال آدم التوبة وسؤال إبليس النظرة. وهي موضوعات تختص بمعالجة الطبري لسورة الأعراف ولا ترد في الرواية التاريخية. كذلك ينفرد تفسير سورة طه بإخبار القارئ أن آدم تاب بالأفعال، ولا ذكر لهذا في تاريخ الطبري. وحقيقة

جريان الشيطان من ابن آدم مجرى الدم، وأنّ هذه الكلمات سبيل التوبة لكلّ العصاة ترد في تفسير الطبري لسورة البقرة وحدها دون سورة طه وسورة الأعراف، ولا ترد كذلك في تاريخ الطبري.

## الخاتمة والنتائج:

ختامًا، لا يبدو أن هناك قدرًا كبيرًا من التكرار بين التفسير والتاريخ فيما يخص قصة هبوط آدم إلى الأرض، ومردّد ذلك أن الطبري يوضح الحقائق التاريخية لمسألة الهبوط من خلال سردٍ للأخبار؛ الرابع، ومن السادس للثالث عشر علاوة على الخامس عشر من إجمالي ثمانية عشر خبرًا يسوقها في تفسيره لقوله: ﴿فَازَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنَّا﴾ من الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة، وترد الأخبار من السابع للثاني عشر بنفس ترتيب ورودها في العملين. وعند وصف خَلْق حواء ساق الطبري الأخبار من الرابع للسادس التي وردت في تفسير قوله: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ من الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة، علاوة على الأخبار من الثاني للرابع التي وردت في تفسير قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ في الآية الأولى من سورة النساء. أمّا المقطع التاريخي الذي يتحدث عن توبة آدم فتد فيه الأخبار؛ الرابع والسابع والثامن والثالث عشر من تفسير الطبري لقوله: ﴿فَنَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ في الآية السابعة والثلاثين من سورة البقرة. وعلاوة على ذلك يورد الطبري مادة متفرقة من تفسيره للآية ١٢٧ من سورة البقرة، والآية ١١٧ من سورة طه، ضمن الأخبار المذكورة التي تتعلق بقصة الهبوط والتوبة. وهذا يوحي بأن التفسير كان موجودًا أمام الطبري وهو يكتب تاريخه، وكون التفسير اكتمل قبل التاريخ أمرٌ

تشهد له كتب السِّير<sup>(١)</sup>. وأيِّ اختلافات يمكن ملاحظتها بين العاملين هي قطعاً مقصودة حُرِّرت فيها المادة الموجودة لتناسب البيئة الجديدة في كتاب التاريخ. ولا يقتصر أثر اختلافات الفنين على اختيار المادة فقط، وإنما على الخط الروائي وترتيب المادة والخط الزمني بين الأحداث، ومعنى الأحداث وأهميتها، والتصوير العام للشخصيات الأساسية. وفي تناول كتاب التاريخ للمادة المتعلقة بهبوط آدم إلى الأرض لم يشتمل كما هو متوقَّع على معلومات تخصَّ اختلاف القراءات أو النواحي اللغوية أو المعجمية في بيان النصِّ القرآني، ويقلُّ التكرار ولا يسوق الطبري أخباراً يختلف معها<sup>(٢)</sup>. واستناداً إلى هذا، يمكن القول: إنَّ تاريخ الطبري يقدِّم لنا خطأً أكثر تركيزاً لاتجاه الأحداث مع إيراد اختلافات طفيفة في تفسيرها. ويتجلى قدرٌ كبيرٌ من إعادة ترتيب المادة مع

(١) يذكر روزنتال أنَّ تاريخ النشر (في صورة محاضرات عامة) من التفسير يعود لسنة ٢٧٠/٨٨٣ (٤)؛ وقد نُشر الجزء المقابل من التاريخ سنة ٢٩٤/٩٠٦ (٧). انظر: Rosenthal, The History of al-Tabarī، الجزء الأول، ص ١٠٦، ١٠٧ (نقلًا عن إرشاد الأريب) علاوة على صفحة ١٣٣ (نقلًا عن إرشاد الأريب مرة أخرى).

(٢) رغم أن الطبري يشكِّك في ثبوت أحد عناصر الخبر المروي بلا إسناد؛ إذ هو خلاف ما جاءت به الروايات (انظر: تاريخ الطبري، ج ١، ص ٨٣ وإنكاره في الصفحة ٨٤؛ انظر: Rosenthal, The History of al-Tabarī. Vol. I, p. 298 and p. 300)، غير أنه لا يسوق كما رأينا في التفسير مختلف الآراء في الحديث عن نوع الشجرة التي نهى الله آدمَ عن الأكل منها، وإنما يقرّر أن تحديد نوع الشجرة لم ينصَّ عليه باسمها ولا بدلالة عليها. انظر تفسير الآية الخامسة والثلاثين من سورة البقرة.



إبراز المزيد من الأخبار التي تتمحور حول القرآن لإظهار موضعها في سياق التاريخ، مع تفضيل بعض الأسانيد على غيرها. وإعادة وضع الأخبار له أثره المحتمل في تغيير وظيفتها ودورها في المادة المحيطة بها.

إنّ الحدود التي يفرضها التزام خطّ النصّ القرآني في التفسير أسفرت عن وجود اختلاف في الخطّ الزمني بين التاريخ والتفسير فيما يتعلّق بوقت وقوع الأحداث ضمن الرواية المعروضة. وهذه المرونة في اختيار موضع إيراد المادة في كتاب التاريخ أتاحت للطبري صياغة معنى بعض الأحداث وتحديد أهميتها؛ ومثال ذلك ما جاء في الحديث عن قبول الله لوضع آدم وهبوطه إلى الأرض، هذا القبول الذي تمثّل في صورة منّح وغفران وتوقُّع باحتياجات عبده قبل أن يُلقِي إليه كلمات التوبة، ومثال آخر يتجلى في وضع أخبار التوبة في سياق الحديث عن عالم الأرض وما يستتبع ذلك من أمل في العودة إلى السماء والآخرة. وعند مقارنة صوت الطبري في العملين نلاحظ في التفسير دورًا أكبر لإبليس أو للتفاصيل الدقيقة لحركة الهبوط إلى الأرض، ويعكس التاريخ من خلال تعليقات الطبري التحريرية علاقة ديناميكية أكبر بين الربّ وعبده. ومع ذلك لا بدّ من إحداث توازن في مقابل الوجود الطاغوي لإبليس باعتباره القوة المحركة التي نتجت عن إعادة ترتيب المادة التفسيرية عند كتابة التاريخ.

هناك أمر آخر لا يقلّ أهمية وتجدر الإشارة إليه، وهو القول بأن الطبري يتعمد بناء قصة منفردة لكلّ خبر من الأخبار التفسيرية، وأنه بصرف النظر عن

الفنيات اللغوية والنحوية فإن الموضوعات التي تختص بكلّ خبر من هذه الأخبار التفسيرية في سياق التفسير لا يتم نقلها إلى التاريخ. وهناك استثناءات لهذا النمط تتمثل في بعض التفاصيل السردية الإضافية المتعلقة بوسوسة إبليس في تفسير الآية السادسة والثلاثين من سورة البقرة، الأمر الذي تكرر في التاريخ؛ إذ تشكّل هذه الآية الأساس الذي بنى عليه الطبري روايته التاريخية لقصة الهبوط، وكذلك ذكر ما جاء عن هروب آدم في الجنة، وأن شجرة عقلت برأسه كما ورد في تفسير الآية الثانية والعشرين من سورة الأعراف دون غيرها، وذكره الطبري في تاريخه في خبر منسوب إلى ابن عباس؛ وهنا يشعر القارئ بصوت المؤلف جلياً.

ولا شك أنّ الأمر يزداد وضوحاً عند إنعام النظر في الأجزاء الأخرى من كتاب التاريخ والمصنفات التاريخية والتفاسير لمؤلفين آخرين في العصور الوسطى ممن جمعوا بين التصنيف في التفسير والتاريخ؛ مثل الثعلبي<sup>(١)</sup> في القرن الحادي عشر، وابن كثير<sup>(٢)</sup> في القرن الرابع عشر. وهذا التضييق الواضح للنظرة

(١) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت: ٤٢٧/١٠٣٥). لمزيد من المعلومات حول أهم مصنفات

الثعلبي انظر الدراسات الآتية والمراجع التي اشتملت عليها:

al-Tha'labī's major works see the following dedicated monographs, Klar, Interpreting al-Tha'labī's Tales of the Prophets; Saleh, The Formation of the Classical Tafṣīr Tradition; Wiesmüller, Die vom Koran Getöteten.

(٢) إسماعيل بن كثير (ت: ٧٧٤، ١٣٧٣). لمزيد من المعلومات عن ابن كثير، انظر: عبد العال، ابن كثير

ومنهجه في التفسير:

اللاهوتية عند الطبري في بناء نموذج الموازي لأخبار الهبوط منتقلاً من التفسير إلى التاريخ وما صاحب ذلك من توسيع الشبكة السياقية (ومقتضياته على الرواية الناتجة) هو انطلاقة جديدة بالاهتمام والدراسة، ويبقى من الضروري دراسة أهمية الاختلافات الكلامية والسردية بين الأخبار التفسيرية المتعددة التي أوردها الطبري.




---

Calder, 'Tafsīr from Ṭabarī to Ibn Kathīr'; Laoust, 'Ibn Kaṭīr Historien' and 'Ibn Kathīr'; McAuliffe, 'Qur'ānic Hermeneutics: The Views of al-Ṭabarī and Ibn Kathīr' and Qur'anic Christians; Mirza, 'Ibn Kathīr (d. 774/1373)', 'Ishmael as Abraham's Sacrifice', and 'Was Ibn Kathīr the Spokesperson for Ibn Taymiyya?'; Nadwi, al-Imām Ibn Kathīr; Ohlander, 'Ibn Kathīr'; Saleh, 'Preliminary Remarks on the Historiography of tafsīr in Arabic' and 'Ibn Taymiyya and the Rise of Radical Hermeneutics'.

## المراجع:

## أولاً: المراجع العربية:

- الطبري، تاريخ الأمم والملوك (٥ أجزاء، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧).
- الزحيلي، محمد، ابن كثير الدمشقي: الحافظ، المفسر، المؤرخ، الفقيه، أعلام المسلمين، ٥٧ (دمشق: دار القلم، ١٩٩٥).
- الندوي، مسعود الرحمن خان، ابن كثير: حياته ومؤلفاته (عليكرة: مركز الدراسات الآسيوية الغربية، جامعة عليكرة الإسلامية، ١٩٧٩).
- ابن كثير كمؤرخ: دراسة تحليلية لكتابه: البداية والنهاية (عليكرة: مركز الدراسات الآسيوية الغربية، جامعة عليكرة الإسلامية، يطلب من قسم النشر، جامعة عليكرة الإسلامية، ١٩٨٠).
- الإمام ابن كثير: سيرته ومؤلفاته ومنهجه في كتاب التاريخ (دمشق: دار ابن كثير، ١٩٩٩).
- عبد العال إسماعيل سالم، ابن كثير ومنهجه في التفسير (القاهرة: مكتبة الملك فيصل الإسلامية، ١٩٨٤).

## المراجع الأجنبية:

Abdel Haleem, M.A.S., *The Qur'an* (Oxford World's Classics) (Oxford: Oxford University Press, 2004).

Awn, Peter, *Satan's Tragedy and Redemption: Iblīs in Sufi Psychology* (Leiden: E.J. Brill, 1983).

Berg, Herbert, 'Ṭabarī's exegesis of the Qur'anic Term al-Kitāb', *Journal of the American Academy of Religion* 63:4 (1995), pp. 761–774.

Bodman, Whitney, *The Poetics of Iblīs: Narrative Theology in the Qur'an* (Harvard Theological Studies, 2011).

—, 'Stalking Iblīs: In Search of an Islamic Theodicy' in Angelika Neuwirth, Birgit Embalo, Sebastian Guenther, and Maher Jarrar (eds), *Myth, Historical Archetypes and Symbolic Figures in Arabic Literature: Towards a New Hermeneutic Approach* (Proceedings of the International Symposium in Beirut, June 25th–June 30th 1996 (Stuttgart: Franz Steiner Verlag), pp. 247–269.

Butler, Jean, 'Reading Satan, Remembering the Other', *Numen* 58 (2011), pp. 157–187.

Calder, Norman, 'Tafsīr from Ṭabarī to Ibn Kathīr: Problems in the Description of a Genre, Illustrated with Reference to the Story of Abraham' in G.R. Hawting and A.A. Shareef (eds), *Approaches to the Qur'an* (London: Routledge, 1993), pp. 101–140.

Cooper, John, *The Commentary on the Qur'an by al-Ṭabarī* (Oxford: Oxford University Press, 1987).

El-Hibri, Tayeb, *Parable and Politics in Early Islamic History: The Rashidun Caliphs* (New York: Columbia University Press, 2010).

Feldman, Noah, *The Fall and Rise of the Islamic State* (Princeton: Princeton University Press, 2012).

Gilliot, Claude, *Exégèse, langue et théologie en Islam: L'exégèse coranique de Tabari* (m. 311/923) (Paris: Librairie Philosophique J. Vrin, 1990).

——, 'Récit, mythe et histoire chez Tabari: Une vision mythique de l'histoire universelle', *MIDEO* 21 (1993), pp. 277–289.

——, 'Éxège et sémantique institutionnelle dans le commentaire de Tabari', *Studia Islamica* 77 (1993), pp. 41–94.

——, 'Mythe, récit, histoire du salut dans le commentaire coranique de Tabari', *Journal Asiatique* 282 (1994), pp. 237–270.

Heath, Peter, 'Creative Hermeneutics: A Comparative Analysis of Three Islamic Approaches', *Arabica* 36:2 (1989), pp. 173–210.

Khalil, Mohammad Hassan, 'A Closer Look at al-Ṭabarī's Accounts of the Khaybar Spoils, or the Intersection of Law, Historiography, and Exegesis', *Comparative Islamic Studies* 3:1 (2007), pp. 5–21.

Kheskh, Khaled, 'How to Frame History', *Arabica* 56 (2009), pp. 381–399.

Klar, M.O., *Interpreting al-Tha'labī's Tales of the Prophets: Temptation, Responsibility and Loss* (London: Routledge, 2009).

——, 'Through the Lens of the Adam Narrative: A Reconsideration of Sūrat al-Baqara', *Journal of Qur'anic Studies* 17:2 (2015), pp. 24–46.

Laoust, H., 'Ibn Katîr Historien', Arabica 2:1 (1955), pp. 42–88.

——, art. 'Ibn Kathîr', Encyclopaedia of Islam, 2nd edn.

Leder, Stefan, 'The Literary Use of the Khabar: A Basic Form of Historical Writing' in A. Cameron and L.I. Conrad (eds), The Byzantine and Early Islamic Near East. I. Problems in the Literary Source Material (Princeton, 1992), pp. 277–315.

Mahmoud, Muhammad, 'The Creation Story in "Sūrat al-Baqara," with Special Reference to al-Ṭabarī's Material: An Analysis', Journal of Arabic Literature 26:1–2 (1995), pp. 201–214.

——, 'Qiṣṣat al-khalq wa'l-'isyān fī'l-Qur'ān' in Ferial J. Ghazoul (ed.), Gender and Knowledge: Contribution of Gender Perspectives to Intellectual Formations (Cairo: The American University in Cairo Press, 2000), pp. 66–88.

Mårtensson, Ulrika, 'Discourse and Historical Analysis: The Case of al-Ṭabarī's History of the Messengers and the Kings', Journal of Islamic Studies 16:3 (2005), pp. 287–331.

——, "'The Persuasive Proof": A Study of Aristotle's Politics and Rhetoric in the Qur'ān and al-Ṭabarī's Commentary', Jerusalem Studies in Arabic and Islam 34 (2008), pp. 363–420.

——, 'Tabari, Makers of Islamic Civilization (New Delhi: Oxord University Press, 2009).

McAuliffe, Jane Dammen, 'Qur'anic Hermeneutics: The Views of al-Ṭabarī and Ibn Kathīr' in Andrew Rippin (ed.), Approaches to the History of the Interpretation of the Qur'an (Oxford: Clarendon Press, 1988), pp. 46–92.

——, 'Qur'anic Christians: An Analysis of Classical and Modern Exegesis (Cambridge: Cambridge University Press, 2007), pp. 71–76.

Mirza, Younus Y., 'Ibn Kathīr (d. 774/1373): His Intellectual Circle, Major Works and Qur'ānic Exegesis' (unpublished PhD thesis, Georgetown University, 2012).

——, 'Ishmael as Abraham's Sacrifice: Ibn Taymiyya and Ibn Kathīr on the Intended Victim', *Islam and Christian–Muslim Relations* 24:3 (2013), pp. 277–298.

——, 'Was Ibn Kathīr the Spokesperson for Ibn Taymiyya? Jonah as a Prophet of Obedience', *Journal of Qur'anic Studies* 16:1 (2014), pp. 1–19.

Neuwirth, Angelika, 'Negotiating Justice: A Pre-Canonical Reading of the Qur'anic Creation Accounts – Part I', *Journal of Qur'anic Studies* 2:1 (2000), pp. 25–41.

——, 'Negotiating Justice: A Pre-Canonical Reading of the Qur'anic Creation Accounts – Part II', *Journal of Qur'anic Studies* 2:2 (2000), pp. 1–18.

Ohlander, Erik S., 'Ibn Kathīr' in Joseph E. Lowry and Devin J. Stewart (eds), *Essays in Arabic Literary Biography* (Wiesbaden: Harrassowitz, 2009), pp. 147–159.

Osman, Ghada, 'Oral vs. Written Transmission: The Case of Ṭabarī and Ibn Sa'd', *Arabica* 48 (2001), pp. 66–80.

Pregill, Michael, 'Isrā'īliyyāt, Myth and Pseudepigraphy: Wahb b. Munabbih and the Early Islamic Versions of the Fall of Adam and Eve', *Jerusalem Studies in Arabic and Islam* 34 (2008), pp. 215–284.

Rosenthal, Franz (tr. and annot.), *The History of al-Ṭabarī. Volume 1. General Introduction and From the Creation to the Flood* (Albany: SUNY Press, 1989).



Saleh, W.A., The Formation of the Classical Tafsīr Tradition: The Qur'ān Commentary of al-Tha'labī (d. 427/1035) (Leiden, Boston: Brill, 2004).

—, 'Preliminary Remarks on the Historiography of tafsīr in Arabic: A History of the Book Approach', Journal of Qur'anic Studies 12:1–2 (2010), pp. 6–40.

—, 'Ibn Taymiyya and the Rise of Radical Hermeneutics: An Analysis of an Introduction to the Foundations of Qur'ānic Exegesis' in Shahab Ahmed and Yossef Rapoport (eds), Ibn Taymiyya and his Times (Karachi: Oxford University Press, 2010), pp. 123–162.

Schöck, Cornelia, Adam im Islam: ein Beitrag zur Ideengeschichte der Sunna (Berlin: K. Schwarz, 1993).

Schöller, Marco, 'Sīra and Tafsīr: Muḥammad al-Kalbī on the Jews of Medina' in Harald Motzki (ed.), The Biography of Muhammad: The Issue of the Sources (Leiden, Boston, Köln: Brill, 2000), pp. 18–48.

Shoshan, Boaz, Poetics of Islamic Historiography: Deconstructing Ṭabarī's History (Leiden, Boston: Brill, 2004).

Spellberg, D.A., 'Writing the Unwritten Life of the Islamic Eve: Menstruation and the Demonization of Motherhood', International Journal of Middle East Studies 28 (1996), pp. 305–324.

Wiesmüller, B., Die vom Koran Getöteten: At-Ta'labī's Qatlā al-Qur'ān nach der Istanbuler und den Leidener Handschriften. Edition und Kommentar (Würzburg: Ergon Verlag, 2002).

